

الجامعة

مقوماتها . رسالتها . تنظيمها

دكتور حسين عثمان
استاذ علم وتكنولوچيا الأغذية
جامعة الاسكندرية

١٩٧٢

الجامعة

مقوماتها . رسالتها . تنظيمها

دكتور حسين عثمان
استاذ علم وتكنولوجيا الأغذية
جامعة الاسكندرية

١٩٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

حمـــد لله .... ودعـــاء

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد واياك نستعين

الحمد لله على عونه فى إتمام هذا الكتاب عن الجامعـة ، وكنت قد ابتدأت تجميع المعلومات والآراء المتعلقة بالجامعة والتعليم الجامعى للإستعانة بها فى مناقشات تطوير للجامعة كان قد اقترح عقد مؤتمر له أثناء العام الدراسى ٦٤ — ١٩٦٥ . ولما لم ينعقد المؤتمر فقد رتبت هذه المعلومات وهذه الآراء وناقشتها فى محاولة لنشرها على هيئة كتاب ، ولكن لم يقدر لها النشر يومذاك مثلما لم يقدر للمؤتمر الانعقاد ، وربما لأسباب متشابهة ، لن تفلت من ملاحظة متتبع خطوات تطوير الجامعة فى مصر ، ولن تفوت على فطنة القارىء من غير شك .

الحمد لله الذى هيأ لى أن أضمن هذا الكتاب ما كتب عن الجامعات عامة وعن الجامعات المصرية خاصة منذ ذلك الوقت ، وأن أضيف فصلا يتضمن مقترحات لتحقيق رسالة جامعة ، ولعلى فى اتخاذى لجامعة الأسكندرية مثالا لذلك أكون قد وفيت جزءاً من فضل هذه الجامعة على ، منذ أن كنت فيها طالباً إلى أن أصبحت فيها أستاذاً .

فلله أسجد حمـداً وبالشكر أتوجه إلى الذين شجعوا على تحقيق ظهور هذا الكتاب ، واعتذر عن ذكرهم بالاسم فهم كثيرون عديدون .

الحمد لله الذى ألهم رئيس الجمهورية أن يجمع أعضاء هيئات التدريس بالجامعات فى أكتوبر ١٩٧١ ويكلفهم تطوير جامعاتهم ، ثم يكرر ذلك فى أكثر من مناسبة .

الحمد لله الذى جعل لمجلس وزرائنا رئيساً من أساتذة الجامعة ، يعاونه وزراء كثيرون من أساتذتها أيضاً .

الحمد لله الذى قلد شئون الخدمات نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية يلجأ إلى النقاش والإقتناع ويستبعد الحرس والإجهار .

الحمد لله الذى ولى على وزارة التعليم العالى وزيراً فضل أستاذيته الجامعية على سلطاته الوزارية .

الحمد لله الذى جعل المجلس الأعلى للجامعات يستقبل الصواب ويستدبر الهوى ، يتبنى الصالح وينبذ الطالح .

الحمد لله أن كان على رأس جامعة الأسكندرية أكاديميين ذوى نفوس كبيرة تفضل المنطق وتتبنى الصواب وتقتنع بالحجة .

الحمد لله الذى جمع بين آراء مجلس جامعتنا وآراء أعضاء هيئة التدريس بها .

الحمد لله أن ألف قلوب الغالبية العظمى من أعضاء هيئات التدريس على آراء ومبادىء فيها صالح الجامعة وصلاح الوطن .

الحمد لله أن وضع أعضاء هيئة تدريس جامعة الأسكندرية ثقتهم فىّ ، فانتخبونى وزملاء أعزاء وكلفونا متابعة مشروع قانون تنظيم جامعتهم ، فأعطونا فرصة التبشير لآرائنا وآرائهم على مستوى الجامعة والجمهورية بعد أن كان ذلك على مستوى القسم والكلية .

الحمد لله الذى أيدنا بمجهودات كثير من الزملاء فى العلن وفى الخفاء .

الحمد لله الذى هدانا إلى قرناء مخلصين فى الجامعات الأخرى كانوا نعم العون فى متابعة قانون الجامعات .

الحمد لله أن قارب قانون الجامعات أن يصبح موضع النفاذ ، لكى يبتدىء التنفيذ وتنطلق طاقات العمل والإصلاح .

الحمد لله أولا وأخيراً .

الحمد لك إذ الفضل منك وإليك .

ورجاء إليك سبحانك أن تجعل فى هذا الكتاب نفعاً للجامعات ودعاء إليك جل جلالك أن تجعل فيه خيراً للبلاد .

الاسكندرية فى يوليو ١٩٧٢ — حسين عثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الهــــداية

يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب
الله الامثال للناس والله بكل شىء عليم

(٢٤ النور ٣٥)

تصــــدير

سألني صديق عزيز فى أجازة عيد الفطر المبارك الأخير عن الكيفية التى أقضى بها وقتى ، قلت اقرأ و أكتب ، قال عم ؟ ،قلت عن الجامعة والتعليم الجامعى ، فجاء السؤال بعد ذلك مشوباً بلهجة الاستغراب : و لكن هل من عادتك أن تكتب فى مثل هذه الموضوع ؟ فوجدتنى أجيب بغير تردد — ليس بأن لكل شىء بداية ، بل كانت الاجابة ، ان فى حياتى شيئين أحدهما تخصصى ، و الآخر الجامعة ، وقد وفقت — والحمد لله — إلى خدمة وطنى فى هذا التخصص فى النطاق العالمى مؤخراً ، فأرجو أن أوفق — بفضله تعالى — إلى اسداء حق وطنى على فيما يختص بالجامعة فيما أقرأ و أكتب حالياً ..

وإن كانت هذه الكلمات مما لا يجعل أى أديب يزهو بها إذا ما طلب إليه أن يصف حقيقة شعورى ، وصدق مشاعرى فيما عنيت بهذه الكلمات البسيطة إلا أن بساطتها قد تكون الشفيعة لمعانيها ، وفطنة القارىء وسعة أفقه الوسيلة إلى فهمها .

فبهذه الروح و بهذا الشعور قد كتبت و أرجو أن أكون قد وفقت .

و لست أدعى أن كل ما كتب هنا هو من بنات أفكارى بل إن الكثير من القراء — و من الأصدقاء — قد يجد أن بعض هذه الأفكار سمع من قبل وردد، بل إن البعض ربما اعتبرها اراءه وافكاره ولهؤلاء المعذرة ، ولكن ما دمنا قد اتفقنا فى الفكر و الرأى فلنتكاتف سوياً على نقل هذه الآراء من مرحلة الفكر إلى مرحلة العمل ، من حيز التفكير إلى حيز التنفيذ .

وبعض القراء الكرام قد لا يكون على صلة بالموضوع بحيث تكون هذه الآراء وهذه الأفكار جديدة عليه ، وهؤلاء أشكرهم وارحب بهم ، أشكرهم للوقت والتشجيع الذى هم على وشك أن يعطوه هذا المؤلف بقراءته ، وأرجو — مخلصاً — أن يكسبهم مؤيدين لهذا الموضوع بالفكر والعمل ، بالرأى والتنفيذ .

وقد يكون لبعض القراء الأفاضل ، تحفظات على بعض هذه الآراء والأفكار ، وهؤلاء أرجو مع كل محب للمعرفة مؤيد للجامعة أن نسمع أفكارهم وأن نقرأ رأيهم ، فليس مثل حرية الاختلاف فى الرأى ضمان للوصول إلى الصائب منه ، وليس مثل حق المناقضة كفيل بمعرفة الحقيقة ، طالما كانت المنفعة العامة رائدنا ، والمنطق أسلوبنا ، والموضوعية وسيلتنا .

وإنى أعلم أنى مهما اسديت من شكر ، وأجزلت من ثناء فلن أوفى كل الذين ساعدونى فى هذا العمل حقهم أو أجزيهم لقاء تعبهم ، وهم كثيرون ، منهم من ساعد بالرأى والفكر والمناقشة ، ومنهم من ساعد باستعارة المراجع أو نقلها ما بين الاسكندرية والقاهرة . أو بمد أجل الاعارة أو قرأ جزءاً من الكتابة ، أو بالكثير من الوسائل الأخرى .

فالله أشكر على أن وهبنى مثل هؤلاء الأصدقاء ، واياه أحمد على ما منحنى من جهد ، وإليه اتوجه برجاء أن أكون قد وفقت ، وأصبت فيما رميت ، انه نعم المولى ونعم السميع المجيب .

حسين عثمان

الاسكندرية فى أول يوليو ١٩٦٥ م

الجزء الأول

الجامعــة ...

تقــديم

الجامعة ومقوماتها

الجامعة رسالة

الجامعة وحـدة

الجامعة شخصية

الجامعة حرية

الجامعة أساتذة

الجامعة نشر للمعرفة وإضافة إليها

أولا : الجامعة والطالب والمجتمع

ثانيـاً : الجامعة وأجهزتها

تقـــديم

إذا ما أراد المرء أن يقرأ عن الجامعة والتعليم الجامعي لوجد أن من أقدم الكتب التي نشرت في هذا الموضوع كتاب كتبه مؤلفه (١) الكاردينال نيومان في ١٨٥٢ م ، واسماه « الفكرة من جامعة » ويبتدىء الكاردينال نيومان كتابه بالجملة التالية « عندما أوجه — أيها السادة — نفسي لاعتبار مسألة أثارت الكثير من الاهتمام ودعت إلى الكثير من الجدل في هذه الأيام ، مثل التعليم الجامعي » إن هذه الجملة التي استخدمها نيومان منذ نيف وعشر ومائة من السنين يمكن أن تكون استهلالا مناسباً بل وبارعاً لخطاب يكون قد ألقي بعد المناقشة الشيقة التي جرت في مجلس الأمة في أواخر العام الماضي عن التعليم الجامعي .

فما الذي يجعل من جملة — كتبت منذ أكثر من مائة عام — وفي بلد يبعد عنا المئات بل الآلاف من الأميال ، فضلا عما بين البلد من الاختلاف في الحضارة والتنافر في التراث والتباين في الاحتياجات — ما الذي يجعل من هذه الجملة — جملة مناسبة لكل زمان ومكان .

إن من أبرع وأدق تعريفات الكتب الكلاسيكية أو التقليدية أنها الكتب المعاصرة Contemporary في كل عصر . ولا شك أن الجامعة والتعليم الجامعي هو موضوع معاصر في كل زمان وموضوع الساعة أينما وحيثما كان . ولا عجب في ذلك البتة لأننا نرى أن بعض دوائر المعارف تربط

---

(1) John Henry Cardinal Newman, The Idea of A University, Longmans, Green, and Co., London 1910.

بين وجود الجامعات في بلد من البلاد ومقدار الحضارة فى هذا البلد ، وأن أستاذ الجيل الأستاذ أحمد لطفى السيد(١) يذكر أن مجد الأمم يقاس بالرجال المثقفين الذين تنجبهم جامعاتها . كما أن الجامعة تمد المجتمع بما يحتاجه من فنيين مهنيين ومن مفكرين وقادة .

ولقد كان أول ما نزل من القرآن الكريم « اقرأ »(٢) فإن هذا الأمر الذى أتى من الله سبحانه وتعالى إلى نبيه الذى أختاره أمياً لم يكن إلا ليؤكد أهمية ذلك الأمر . إذ كيف يؤمر من كان أمياً أن يقرأ . لقد يبدو لمن كان على غير هدى أن فى ذلك تنافر ، وقد يظهر لمن كان غير ذى بصيرة أن فى هذا تباين ، وما هناك تنافر ولا تباين بل هو تفاعل وتداخل يثبت جوهرية هذا الأمر ويلقى الضوء على أهميته . إذ يكمل الله نعمه علينا بأن يكمل آياته فى سورة العلق قائلا وصدق قوله العظيم « اقرأ باسم ربك الذى خلق (١) خلق الانسان من علق(٢) اقرأ وربك الأكرم (٣) الذى علم بالقلم (٤) علم الانسان ما لم يعلم (٥) » .

ويقول الطبرى (٣) فى تفسيره أن تكرار اقرأ وجوه اقرأ لنفسك ثم اقرأ للتبليغ ... أو الأول للتعلم والثانى للتعليم .

---

(١) أحمد لطفى السيد ، رسالة الجامعة ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ديسمبر سنة ١٩٤٠ م

(٢) ٩٦ سورة العلق (١) وهى أول ما نزل من القرآن

(٣) تفسير الامام ابن جرير الطبرى — الجزء ٣٠ ص ١٢٥

فاذا كان رسوله — صلى الله عليه وسلم — الذى اختاره ليختتم به الأنبياء — وليحمل رسالته التى ستكون تماماً لرسالاتهم أمياً ، فإنه سيحمل رسالة الرب الأكرم الذى يعلم من لا يعلم وما لم يعلم والذى يمن ولا يمن عليه يمن على عباده بأن يكون أول ما ينزل عليهم هو أمر بالتعلم وبالتعليم. فهل من الممكن أن تتم رسالة أو يتم اصلاح من غير أن يكون مبدؤه ، بل مادته العلم والتعلم ، والدرس والتدارس ، كلا ثم كلا لو تعلمون علم اليقين

ويكتب الدكتور عبد الحليم محمود (١) كانت : « إقرأ » دعوة آمرة إلى الثقافة ، إلى العلم ، إلى الفكر ، إلى البحث المستفيض فى السماء وفى الأرض وفى الجبال والبحار ، وفى كل ما خلق الله تعالى : من كائنات صغرت أم كبرت ، أنها ... إقرأ باطلاق ، أنها : إقرأ دون تحديد ولا تقييد ... اللهم إلا أن تكون باسم الله . » .

كما يرى الدكتور مصطفى السباعى (٢) أن فى هذه الآيات الكريمة من سورة العلق إشادة منه تبارك وتعالى بالعلم ، ويورد فى هذا المجال أيضاً قوله سبحانه وتعالى فى مستهل سورة القلم (٣) « ن والقلم وما يسطرون(١) » وفى سورة الطور (٤) « والطور (١) وكتاب مسطور(٢) فى رق منشور(٣) »

---

(١) عبد الحليم محمود : الرسول صلى الله عليه وسلم عدد ١٣٧ المكتبة الثقافية يوليو ١٩٦٥ ص ٧٥ .

(٢) مصطفى السباعى : اشتراكية الاسلام — الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٠ .

(٣) ٦٨ سورة القلم (١)

(٤) ٥٢ سورة الطور (١ — ٣)

بل ويذكر المؤلف أن العلم « هو الميزة الكبرى التى يتميز بها الانسان عن غيره » وأن « القرآن » « جعل المعرفة هى ميزة آدم التى خلقه من أجلها » .

ويعطى المؤلف أيضاً الحديث النبوى « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ليؤكد أهمية العلم والتعلم وفضلهما.

كذلك يذكر المؤلف أن علماء الشريعة قد أجمعوا على أن العلم المطلوب فى الشرع نوعان :

١ — ما هو فرض عين :

أي ما يطلب تعلمه وجوبا من كل فرد مكلف ولا يعذر أحد فى الجهل به . وهو ما يحتاج إليه الإنسان فى إقامة دينه وقبول عمله عند الله تعالى ، واستقامة معاملته ومعاشرته للناس، يدخل تحت ذلك كله تعلم أحكام العبادات وتعلم أحكام المعاملات لمن يمارسها ، وكذا أهل الحرف (المهن) وقالوا : أن كل من اشتغل بشيء يفرض عليه علمه وحكمه ليمتنع عن الحرام فيه .

٢ — ما هو فرض كفاية :

وهو كل ما يحتاج المجتمع إليه من غير نظر إلى شخص بذاته ، كتعلم الصناعات التى يحتاج إليها الناس ، وتعلم المهن التى لابد للناس منها من خياطة وحياكة وغيرهما على قدر ما يحتاجون إليه فان لم يكن فيهم من يتعلم كانوا آثمين جميعاً » .

وينقل المؤلف عن الغزالى قوله : « أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب ... وكالحساب .. أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة والحجامة ».

فكل ما يحتاج إليه فى شئون الدنيا وفى تصريف أمور المجتمع والقيام على شئونه من عمل شريف يجب تعلمه وتعليمه ودرسه وتدريسه بحيث تحصل الأمة على العدد الذى تحتاج إليه ممن يستطيعون القيام به .

ولذا نجد الميثاق يقول فى الباب الثامن « مع التطبيق الإشتراكى ومشاكله » :

« إن الثروة التى يملكها هذا الوطن — صانع الحضارة — من الخبراء والفنيين فى جميع المجالات قيمة هائلة لابد من الحرص عليها وتنميتها وحمايتها » .

« إن العمل الثورى لا بد له أن يكون عملا علمياً » .

« وإن تخلت الثورة عن العلم فمعنى ذلك أنها مجرد إنفجار عصبى تنفس به الأمة عن كبتها الطويل ، ولكنها لا تغير من واقعها شيئاً .

« إن العلم هو السلاح الحقيقى للإرادة الثورية ، ومن هنا يبدأ الدور العظيم الذى لابد للجامعات ولمراكز العلم على مستوياتها المختلفة أن تقوم به » .

« إن السلطات الشعبية بدون العلم قد تستطيع أن تثير حماسة الجماهير ، لكنها بالعلم وحده تقدر على العمل ، تحقيقاً لمطالب الجماهير .

« ومن هذا التصور فإن الجامعات ليست أبراجاً عاجيــة ولكنها طلائع متقدمة تستكشف للشعب طريق الحيــاة » .

« إن المشاكل الإقتصادية والإجتماعيــة الكبرى التى يتصــدى شعبنــا اليوم لمواجهتها لابد لها من حلول علمية » .

فليس غريباً إذا أن العلم والتعلم والدرس والتدريس ما فتئت مواضيــع الساعة منــذ كانت المدنيــة ، ومنذ كانت الحضارة . وليس بمستغرب أيضاً أن يكون التعليم العالى عامة والتعليم الجامعى خاصة هو موضوع الساعة عنــدنا بل هو أيضاً موضــوع الساعة فى الكثــير من البــلاد الأخرى كبريطانيا وفرنسا وأمريكا وغيرها . بل أنه ربما استطعنــا دون أن نجانب الصــواب أو نجافى الحقيقــة أن نقول أن التعليم العــالى سيكون دائماً وعلى مر الزمان موضوع الساعة فى كل مكان يحرص فيه السكان على أن يكونوا متمشــين مع ركب الحياة ذووا أثر ، أصحاب مدنية ، صانعوا حضارة ، ومخلفين تراثاً .

ومن أضر الأمور أن يزداد الحماس فى هذا الأمر بحيث يضفى على صوت العقل ، أو تندفع العاطفة بحيث تحجب الرزانة . ولــذا وجب أن نقرب هذه الدراسة متمسكين بالموضوعية ومتجردين من أى تحيز إلا التحيز لوجه الحق والحقيقة . أو فى كلمتين اثنتين معبرتين : بطريقة علمية .

وأول سبيل إلى ذلك أن نعرف الجامعة وهى وسيلة التعليم الجامعى .

الجامعة ومقوماتها

ما هى الجامعة ؟ وما هو مدلول هذا اللفظ ؟

إن لفظ الجامعة عندما يطرق الآذان تتبادر إلى الأذهان معانى كثيرة وتتزاحم فى الرءوس مدلولات عديدة ، وقد لا يقتصر التعدد على الأذهان المختلفة بل قد يجد له مجالا فى الذهن الواحد من غير أن يكون لصاحبه فى ذلك دخل ولا ذنب ، ولعل فى ذلك مصداق لقول الفيلسوف هوايتهيد ، « أن تحليل الواضح يحتاج إلى عقل غير عادى » . وإذا بحث الباحث عن تعريف لهذه الكلمة « الجامعة » لوجد أن المجمع الوسيط (١) يعرف الجامعة بأنها « مجموعة معاهد علمية تسمى كليات ، تدرس فيها الآداب والفنون والعلوم » والمجمع الوسيط متأثر فى هذا التعريف بالتعريف الذى يعطيه لاروس Larousse حيث يعرف الجامعة Université بأنها مجموعة من المدارس تسمى كليات تمنح التعليم العالى ، بينما تعرفها الانسيكلوبيديا الكبرى La Grande Encyclopédie بأنها معهد الغرض منه التعليم العالى فى العلوم والآداب أما قاموس وبستر فيقول عن الجامعة University بأنها معهد منظم للتدريس والدراسة فى فروع المعرفة العالية ، وله سلطة منح درجات علمية فى أقسام خاصة

ودائرة المعارف البريطانية تذكر أن الاسم مشتق من الأصل اللاتينى Universitas وأنه حوالى الجزء الأخير من القرن الرابع عشر أصبح له معنى مجموعة من الأساتذة والعلماء teachers and scholars معترف بهم قانوناً

---

(١) مجمع اللغة العربية — المجمع الوسيط ١٩٦٠ م

وأنها عرفت من بعد ذلك بأنها مركز للتدريس للجميع Studium generale .

أما دائرة معارف جرولير Groliers Encyclopedia فتقول عن الجامعة university أنه اسم يطلق على معهد قوى للتدريس والدراسة العالية ، وله سلطة منح الدرجات العلمية، وأن معظم الجامعات جامعات تعليمية taeching universities بمعنى أن بها أعضاء هيئة تدريس يعين كل منهم لتدريس موضوع خاص ، وليعطى دروساً ، وليوجه دراسات الطلبة . وأن الأصل فى كلمة الجامعة هو من الاصطلاح studium generale ومعناه مكان به تسهيلات للتدريس والحصول على المعرفة مفتوح لكل من يؤمه ، ولا يقتصر على مجتمع معين .

وتقول دائرة المعارف هذه أن استعمال المصطلح universitas كان فى مبدأ الأمر لمجموعات متطوعة (داخل « studium generale ») ثم تقدم تدريجياً ليشمل جميع المعهد عندما اعترف به الإمبراطور أو البابا . وأن هذا أدى إلى إعطاء الوحدة لمجتمع الأساتذة والعلماء teachers and scholars كافة ، وأنه أصبح رمزاً لوحدة العالم المتعلم unity of the whole learned world لأن حامل الدرجة العلمية من إحدى هذه الجامعات كان له الحق فى التدريس ليس فى جامعته فقط أو فى وطنه فقط بل أيضاً فى أى studium generale

وقد كان لهذا الحق قيمة فى انتشار المعرفة لأن أساتذة وعلماء القرون الوسطى كانوا يتفاهمون فى كل مكان عن طريق اللغة اللاتينية .

وتذكر دائرة معارف جرولير أن الجامعة الحديثة تبدى اهتماماً متزايداً « بالروح الجامعية University spirit » والتى معناها ملاحظة دائمة لمساعدة

وتقدم الحصول على المعرفة واكتشافها ، وايجاد الحافز للتساؤل الفكرى intellectual inquiry فى كل موضوع ، ورفع نغمة ومستوى التمرين المهنى وبالأخص فأنها تهدف إلى أن تشجع فى الاساتذة والطلاب حقا ووجهة نظر altitude ذات أثر فعال تجاه طرق البحث .

أما دائرة معارف تشامبرز Chambero's Encyclopoedia فتذكر أن المصطلح Studium generale معناه مكان للحصول على المعرفة يؤمه الأساتذة والطلاب من كل مكان . ولكن لا يلزم فى هذا المعهد دراسة كل أنواع المعرفة .

والقارىء يشعر عند هذا الحد بأن هناك نوراً قد ألقى على طريقه فى التعرف على الجامعة وماهيتها ، وأن معرفته بها قد زادت ، ولكنه النور الذى لا يجلى وان أظهر أن للموضوع أبعاداً شاسعة امتداداً واتساعاً وعمقا ، فهو النور الذى لا يظهر كل المعالم ولا يوضح جميع الخوافى وهى المعرفة التى ترغب فى الزيادة وتغرى بالاسترادة .

الجامعة رســالة

أن الكار دينال نيومان يعرف الجامعة « بأنها مكان تعليم المعرفة العامة والكاملة a place of teaching universal knowledge ولأنه يعتبر المعرفة نهاية فى حد ذاتها فإنه يرى أن الغرض من الجامعة :

١ — فكرى intellectual وليس خلقى moral

٢ — نشر المعرفة أكثر من العمل على تقدمها

diffusion and extension of Knowledge rather than advancement.

على أنه فى نفس هذا الوقت وفى عام ١٨٥١ م بالذات أختير عبر المحيط الأمريكى هنرى تابان (١) Henry Tappan لير أس جامعة ميتشيجان فكتب أن الجامعة الحقيقية هى « دائرة معارف حيث يجمع فى كل موضوع من موضوعات المعرفة الانسانيةدواليب وأجهزة من كل وصف يمكن أن تساعد البحث learned investigation والتجربة الفلسفية philosophical experiment، وأساتذة ومدرسين مؤهلين التأهيل الكافى يساعدون الطالب فى دراسته . فالجامعة تتيح دراسة كل فروع المعرفة بالكامل وتعمل على تقدم البحث العلمى حيث يمكن مد الدراسة بدون حدود وحيث يمكن انماء العقل تبعاً لرغباته » .

---

(1) John S. Brubacker and Willis Rudy, Higher Education in Transition — An American History: 1636— 1956, Harper and Brothers publishers, New York, U.S.A. 1960

فتابان يشترك مع نيومان فى أنه فى الجامعة تدرس أنواع المعرفة المختلفة ، وان كان نيومان قد عبر عنها بأنها المعرفة العامة والكاملة universal فقد وصفها تابان بالمعرفة الانسانية human وبينما اقتصر نيومان فى وظيفة الجامعة على نشر المعرفة فقد أضاف تابان إلى ذلك تقدم البحث العلمى .

والإختلاف بين النظرة إلى الجامعة فى البلدين الذين يقعان على جانبى الأطلنطى ويتكلمان نفس اللغة — وان كان قد حدث فى نفس الزمان بل فى نفس العام — اختلاف مرجعه إلى اختلاف المؤثرات واختلاف التراث واختلاف الاحتياجات .

وبعد حوالى ربع قرن من الزمان نجد دانييل جيلمان (١) Daniel Gilman عندما أختير مديراً لجامعة جونزهوبكنز Johns Hopkins فى ١٨٧٦ يعتقد أن جامعته يجب أن تؤدى بعض الوظائف الأساسية للحضارة ويتمنى فى خطاب تعيينه أن تؤدى الجامعة إلى شقاء أقل بين الفقراء ، وجهل أقل فى المدارس وتعصب أقل فى المعابد ، وتحمل suffering أقل فى المستشفيات ، ونصب fraud أقل فى المعاملات وتهور folly أقل فى السياسة .

فكأن جيلمان قد اعترف بأهمية الدور الذى تلعبه الجامعة فى المجتمع . ليس فقط عن طريق نشر المعرفة والبحث فى جميع فروعها — بل أيضاً فى تكوين أشخاص أصلح للمجتمع من وجهة ما يقومون به ويؤدون فيه من خدمات ومن الوجهة الخلقية أيضاً ، وهذه الأخيرة على الأقل كان ينكرها نيومان .

---

(1) Brubacker and Rudy. Op. Cit.

ولذا نجد أن عالم الاجتماع البيون سمول(١) Albion W. Small يكتب فى سنة ١٩١٦ أن سياسة صديقه وبليام رانى هاربر William Rainey Harper مدير جامعة شيكاجو تتلخص فى أتباع ثلاثة أمور :

أولا : البحث المستمر فى كل اتجاه للمعرفة

ثانياً : طموح نشط لوضع المعرفة فى خدمة الانسانية .

ثالثاً : اتصال أكبر greater accessability ويشمل المحافظة على طرق أكثر لدخول الجامعة عما سبق فى الماضى وطرق مباشرة أكثر للاتصال بالعالم الخارجى .

وفى مصرنا العزيزة نجد أنه فى نفس هذا الوقت ينشر المرحوم مصطفى كامل الغمراوى (٢) سنة ١٩٠٦ اعلانا داعياً إلى مشروع انشاء « مدرسة جامعة مصرية » على شروط كان أولها :

« ألا تختص بجنس أو دين بل تكون لجميع سكان مصر على اختلاف جنسياتهم واديانهم فتكون واسطة للألفة بينهم » .

وكذلك فقد خطب محرر المرأة قاسم أمين (٣) رحمه الله فى أبريل سنة ١٩٠٨ فى مجال الدعاية لانشاء الجامعة المصرية : « نحن لا يمكننا

---

(١) Brubacker and Rudy, op. cit

(٢) حسين فوزى النجار : أحمد لطفى السيد — أستاذ الجيل فى سلسلة أعلام العرب رقم ٣٩ — الدار القومية المصرية للتأليف والترجمة ص ٢٦٢، ١٩٦٥

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٧ — ٢٦٨

أن نكتفى الآن بأن يكون طلب العلم فى مصر وسيلة لمزاولة صناعة أو الالتحاق بوظيفة ، بل نطمع فى أن نرى بين أبناء وطننا طائفة تطلب العلم حباً للحقيقة وشوقا إلى اكتشاف المجهول ، فئة يكون مبدؤها التعلم للتعلم ، نود أن نرى من أبناء مصر ، كما نرى فى البلاد الأخرى ، عالما يحيط بكل العلم الانسانى ، واختصاصياً اتقن فرعاً مخصوصاً من العلم ووقف نفسه على الإلمام بجميع ما يتعلق به ، وفيلسوفاً اكتسب شهرة عامة ، وكاتباً ذاع صيته فى العالم ، وعالما يرجع إليه فى حل المشكلات ويحتج برأيه . أمثال هؤلاء هم قادة الرأى العام عند الأمم الأخرى ، والمرشدون إلى طريق نجاحها ، والمدبرون لحركة تقدمها ، فاذا عدمتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون والدجالون .

« إن عدم استعداد طلبة العلم لحب العلم ذاته هو عيب عظيم فينا يجب أن نفكر فى ازالته . وهو نتيجة من نتائج التربية المنزلية التى غفلت عن تربية احساسنا وأهملت تربية قلوبنا فأصبحنا ماديين لا نهتم إلا بالنتائج فى جميع أمورنا ، حتى فى الأشياء التى بطبيعتها يجب أن تكون بعيدة عن الفوائد كعلاقات الأقارب والأصحاب .

« أن الإرتقاء فى الانسان تابع على الخصوص لاحساسه وأن أكثر الناس استعداداً للكمال هم أصحاب الاحساس الذين تهتز أعصابهم المتوترة بملامسة الحوادث ، وتبلغ منهم الانفعالات النفسية مبلغاً عظيما فيظهر أثرها فيهم بكثرة وشدة ، أولئك هم السعداء الأشقياء الذين يتمتعون ويتألمون ، أولئك هم السابقون فى ميدان الحياة ، تراهم فى الصف الأول مخاطرين بأنفسهم ،

يتنافسون فى مصادمة كل صعوبة . من بينهم تنتخب القدرة الحكيمة خيرهم وتوحى اليهم أسرارها ، فيصير شاعراً بليغاً أو عالما حكيما أو ولياً طاهراً أو نبياً كريماً .

« ولى أمل عظيم أن انشاء الجامعة المصرية يكون سببا فى ظهور شبيبة هذا الجيل وما يليه على أحسن مثال » .

ولا شك أن هذه الكلمة الجامعة عن الجامعة كانت نبراسا لمن جاهدوا بعد ذلك فى انشاء الجامعة المصرية حتى وضع الحجر الأساسى لها فى ٣٠ مارس ١٩١٤ م ، وكان منهم الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد الملقب بأستاذ الجيل الذى تولى وكالة الجامعة فى بعض مراحلها إلى أن ضمت لإشراف الدولة ممثلة فى وزارة المعارف العمومية فى ديسمبر سنة ١٩٢٣ م فتولى هذا الأستاذ الجليل إدارة الجامعة فرعاها ودأب على الأخذ بيدها وحمايتها وارساء القواعد والتقاليد لها فنراه يستقيل عندما أرادت الحكومة نقل الدكتور طه حسين الأستاذ بالجامعة سنة ١٩٣٢ . ثم يعود إليها مرة ثانية سنة ١٩٣٥ مشترطا تعديل قانونها بحيث لا ينقل منها أستاذ إلا بعد موافقة مجلس الجامعة .

ونمت الجامعة فى مدة إدارته لها ليس فقط من حيث التقاليد بل أيضاً من حيث ما كانت تمنحه من ضروب المعرفة بما ضم إليها من الدراسات العالية المختلفة فى الهندسة والتجارة والزراعة والطب البيطرى بعد ما كانت أصلا للدراسة الآداب ثم الآداب والدراسات القانونية .

ونراه يغضب مرة أخرى لاستقلال الجامعة وحريتها وحرمتها فيستقيل احتجاجاً على اقتحام البوليس لحرم الجامعة سنة ١٩٣٧ م .

ثم عاد إلى الجامعة بعد ذلك شريطة « أن يبتعد رجال الحكومة عن الإتصال بالطلبة لأن اتصالهم بهم كان يقضى دائماً على الأخاء الجامعى بينهم ، وذلك من أضر الأشياء على التربية الجامعية » .

وليلاحظ القارىء أنه تغمده الله برحمته قد قال « التربية الجامعية » ولم يقل التعليم الجامعى وما ذلك إلا لأنه رحمه الله كان ينظر إلى الجامعة نظرة أكبر من كونها معهد تعليمى بل كان يرى أن « الجامعة (١) هى جماعة من العلماء أخلصوا للعلم فوقفوا عليه ملكاتهم ووقتهم يخدمونه — كما يقف الرهبان أنفسهم على عبادة الله . إلى جانب هؤلاء شبان أذكياء سمت بهم هممهم إلى أن يقضوا شطراً من شبابهم لتثقيف عقولهم وتوسيع آفاقها بتعلم ما لم يكونوا يعلمون ، وتهذيب نفوسهم بتعويدها على تقليد أساتذتهم فى كيفية نظرهم إلى الحياة ، وترفعهم عما يتناحر العامة عليه من الشهوات » .

ويقول خلد الله ذكراه « إن التعليم الجامعى أساسه حرية التفكير والنقد على وجه الاستقلال لا الحفظ والتصديق لكل ما يقال . كذلك التربية الجامعية قوامها عندنا حرية العمل. هذه الحرية إن كان لا يجدها عند العامة إلا

---

(١) أحمد لطفى السيد ، رسالة الجامعة ، المطبعة الأميرية ببولاق ، القاهرة ديسمبر ١٩٤٠ .

القوانين ، فإنها يجدها فى الجامعة فوق ذلك قوانين الجامعة وقواعد السلوك والتقاليد الجامعية ورعاية المحبة والتضامن بين أعضاء الوحدة الجامعية » .

وكان من رأيه « أن غرض التعليم الجامعى تثقيف العقل لا ملء الحافظة غرضه تنمية ملكة البحث العلمى ومعرفة أنهاجه وأناطه ، وتوسيع آفاق الإدراك » .... « بل غرضنا الأساسى هو أن نساعد الطالب بالوسائل التى يبلغ بها كماله الخاص » . ثم يعرف ما أسماه بالكمال الخاص . قائلا : « والناس مختلفون فى تقدير هذا الكمال الخاص تبعاً لتفاوتهم فى الهمة ومقدار ما فى نفوسهم من طموح. وأعلاهم همة وأسماهم طموحاً هو ذلك الذى يعتبر كماله الخاص فى حفظ صحته بالقصد فى الغذاء النافع ومزاولة الرياضة البدنية حسبما يحتمل جسمه ، وفى تنمية ملكاته العقلية وتثقيفها بالعلوم والآداب وفى تصفية نفسه وتطهيرها من الشهوات الرذيلة ، وتعويدها على الفضائل الشخصية والاجتماعية » .

ولم تكن هذه النظرة الواعية الشاملة للجامعة والتعليم الجامعى الا ناتجة من اعتقادة أن رسالة الجامعة « أن تقوم بالأبحاث العلمية فى العلوم وفى الآداب ، « تربية شبيبة الأجيال المتعاقبة لتهيء للبلاد قادتها فى جميع مرافقها » « نشر الثقافة العلمية والأدبية فى جميع طبقات الأمة » ، « مساعدة التطور الاجتماعى بكل ما فى وسعها من ضروب التجديد ، التجديد فى اللغة ، التجديد فى النثر وفى الشعر ، التجديد فى نظرة الناس إلى الفنون الجميلة والبحث فى وجوه ترقيتها وشيوعها » ويضيف رحمه الله عاملا من العوامل الهامة فى

رسالة الجامعة والتربية الجامعية فى نظره قائلا : « ولا يفوتنى أن أنبه إلى أن هذه الرسالة تتناول أيضاً الموسيقى والغناء لما لهما من الأثـر الطيب فى الأخلاق . وبل ولأنهما أيضاً لهو جميل لابد منه وعلى كل أمة أن ترقى أسباب لهوها المرح كما عليها أن ترقى أسباب جدها العابس » .

ولعله رحمه الله وأسكنه فسيح جناته مثابة لطول جهاده الوطنى والجامعى يضع خبرة هذا الجهاد الوطنى والجامعى فى قوله « إن الجامعة بما هى من أكبر الوحدات الاجتماعية عدداً واسماها مكانة وأخطرها مسئولية وأشملها رسالة ، هى بكل أولئك مصدر اشعاع يشع منه التضامن القومى . ففى العائلة يولد التضامن ، وفى المدرسة ينشأ ، وفى الجامعة يشب ويؤتى كل ثمراته ، ويضرب المثل الأعلى للتضامن فى جميع طبقات الشعب . فمن رسالتها إذا أن تعنى فى داخلها بتنمية ما اقتضاه طبعها من لون التضامن الذى يصح لأن يكون مثالا للتضامن القومى »

وإذا تكلم الأستاذ فان التعقيب عليه هو من قبيل تحصيل الحاصل ولكنه هنا أيضاً لأن أرسطو عصره ومصره كان واضحاً أشد الوضوح جلياً غاية الجلاء بحيث أن أقل التمعن يظهر ما هى الجامعة وما هى أغراضها وما هى رسالتها فى نظره : تعليمية ، تربوية ، واجتماعية تطورية ، وقومية وطنية ، وهى لضروب المعرفة المختلفة من علوم وآداب وفنون تقوم بنشرها والإضافة إليها ، وإعداد من يقوم بهذه وبتلك ، فهل هناك رسالة أعم وأشمل ، أو أهم وأخطر ، أو أدق وأبرز .. !

وكذلك فقد لعبت الظروف الاجتماعية فى أوروبا والعوامل الوطنية فى أسبانيا دوراً هاماً فيما كتبه الفيلسوف والمفكر الأسبانى هوزيه أورتيجا جاسيت(١)سنة ١٩٣٠م عن « رسالة الجامعة » فيقول عن الجامعة

١ — أنها المعهد الذى يعلم الطالب العادى أن يكون شخصاً مثقفاً وعضواً جيداً good فى مهنة ما .

٢ — الجامعة هى الفكر, The university is the intellect

٣ — أنها العلم ، مقام فى معهد it is science, erected into an institution

وهو يرى أن للتعليم الجامعى ثلاثة وظائف هى :

١ — نقل الثقافة The transmission of culture

٢ — تعليم المهن The teaching of the professions

٣ — البحث العلمى وتمرين العلماء الجدد .

وقد أورد الدكتور عبد العزيز السيد (٢) نقاطاً شبيهة بذلك فى محاضرة له ألقاها فى الجامعة الليبية .

والسنيور أورتيجا يعرف الثقافة culture بأنها النظام الذى يحوى الأفكار

---

(1) Jose Ortega Y Gasset, Mission of The University, translated with an introduction by Howard Lee Nostrand, Kegan Paul, Trench, Trubner and Co. London. 1946.

(٢) عبد العزيز السيد — الجامعة والثقافة — مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٦١

الحيوية التى يمتلكها كل عصر age -وبالأحسن فانها نظام الأفكار التى يعيش بها كل عصر .

Culture is the system of vital ideas which each age possesses; better yet, it is the system of ideas by which each age lives.

وهو يرى أنه إذا كانت الجامعة ستجعل من الشخص العادى شخصاً مثقفاً لكى يتمشى مع الزمن الذى يعيش فيه فان وظيفتها الأساسية تصبح تدريس النظم الثقافية العظيمة teach the great cultural disciplines ويقول أن هذه هى :

١ — النظام الفيزيقى للعالم (الفيزياء Physics) .

The physical scheme of the world.

٢ — المواضيع الأساسية للحياة العضوية (العلوم البيولوجية) .

Fundamental themes of organic life (Biology)

٣ — الظاهرة التاريخية الدائمة التغير لجنس الإنسان (التاريخ).

The historical process of the human species (History)

٤ — تركيب ووظائف الحياة الاجتماعية (علم الاجتماع) .

The structure and functioning of social life (sociology)

٥ — خطة العالم (فلسفته) .

The plan of the universe (Philosophy)

كذلك فان السنيور أورتيجا يرى أن تعمل الجامعة على جعل الإنسان

العادى مهنياً جيداً good professional بأن تعلمه الجامعة — بالطريقة التى يمكن للفكر intellect أن يبتدعها ، وتكون هى الطريقة الأكثر اقتصاداً ومباشرة direct وكفاءة — كيف يمكن أن يكون طبيباً جيداً أو قاضياً جيداً أو مدرساً جيداً لمادة الرياضة أو التاريخ .

ويعتقد السنيور أورتيجا بأنه ليس هناك أى سبب عقلى وجيه يوجب على الرجل العادى أن يحتاج إلى أو أن يكون عالما فالعلم هو فقط البحث science is exdcusively investigation : وضع المشاكل ، العمل على هذه المشاكل ، والوصول إلى حلها . ومن اللحظة التى يتم فيها الوصول إلى حل ، فكل ما قد يتم عمله بعد ذلك بهذا الحل لا يعتبر علماً . ولهذا فان تعلم العلم أو تدريسه أو تطبيقه أو استحواذه appropriate ليس بعلم .

وعلى ذلك فالسنيور أورتيجا يرى أن :

١ — الجامعة يجب ألا تقبل فى برنامجها أى تظاهر كاذب فيجب ألا تتطلب من الطالب الا ما يمكن حقيقة تطلبه منه .

٢ — أنها يجب ان تتجنب آن تسبب للطالب العادى أن يضيع جزءاً من وقته متظاهراً أنه سيكون عالما .

٣ — أن تعطى المواد الثقافية والدراسات المهنية فى شكل معقول مؤسس على أحسن طرق التدريس — مخطط ومقسم systematic ومخلق synthetic وكامل complete

٤ ـ أن يتم اختيار الأساتذة على أساس موهبتهم فى التخليق talent for synthesis وموهبتهم فى التدريس gift for teaching .

٥ ـ عندما يتم خفض تلمذة الطالب إلى الحد الأدنى من حيث الكم والكيف فيجب أن تكون الجامعة غير مرنة بعد ذلك فيما تطلبه منه .

ويبرهن السنيور أورتيجا على رأيه بأن الشخص ـ الفرد أو المعنوى ـ يجب ألا يتظاهر بأن يكون أكثر مما هو أو بأن يعمل أكثر مما يستطيع القيام به . لأن هذا التظاهر هو أس الفساد والإنهيار لأنه عندما يكون السلوك المعتاد لشخص أو معهد دعى false فإن الخطوة التالية هى الإنحلال الخلقى التام complete demoralization ، وبعد ذلك التدهور degeneracy ، لأنه ليس من الممكن لأى شخص أن يخضع لتزييف falsification طبيعته دون أن يفقد احترام الذات . ولو ألم هذا الفيلسوف الأسبانى باللغة العربية مثلما تأثر بمعانى أدبها وآدابها لاستعار القول الملم الموجز « رحم الله أمرءا عرف قدر نفسه » .

وإذا كانت هذه هى الطريقة التى ارتآها السنيور أورتيجا لجعل الطالب العادى شخصاً مثقفاً ومهنياً جيداً ، فإنه يعتقد أن العلوم هى التربة التى ينمو فيها التعليم العالى والتى منها يأخذ قوته sustenance فجذور الجامعة يجب أن تمتد إلى جميع أنواع المعامل طالبة ما يمكن أن يعطوها من غذاء . فهو يرى أن الجامعة والمعمل مختلفين ولكنهما مرتبطين وأن الفرق الأساسى بينهما أن الجامعة يمكن اعطاؤها الشخصية كمعهد فى حين أن العلم نشاط عال مرتفع

نبيل sublime نادر شديد التعقل subtle لكى يمكن أن ينظم فى معهد ، فالعلم لا يجبر ولا ينظم Science is neither to be coerced or regimented .

ولذا فان السنيور أورتيجا يذكر أنه من الضار لكل من التعليم العالى والبحث investigation أن يحاول دمجهما fuse فى شيء واحد بدلا من تركهما يعملان يداً فى يد فى تبادل تأثير هو فى حريته وذاتيته مثلما هو فى قوته « فالجامعة يجب أن تكون العلم قبلما يمكن أن تكون جامعة » . وتماماً لأن المعهد لا يمكن أن يتكون من العلم الذى هو التخليق الذى لاحد له للمعرفة الدقيقة فالجامعة تتطلب روح العلم لتعطى حياتها المعهـــدية روحاً وقوة animate its institutional life . فالعلم ليس نقط كرامـــة الجامعة بل هو روحها ، هو الأساس الذى يعطيها نفس الحياة وينقذها من أن تصبح آليـــة .

ثم يضيف السنيور أورتيجا واجباً آخر للجامعة بجانب وظائفها السابقة قائلا أن الجامعة يجب أن تكون على اتصال دائم بالحياة العامة ، وبالواقع التاريخى ، وبالحاضر. فالجامعة يجب أن تكون مفتوحة للواقع الكامل لزمانها فهى يجب أن تكون فى وسط الحياة الحقيقية ومشبعة بها .

ولا يعزو السنيور أورتيجا ذلك لأنه يلاءم الجامعة أن تعيش فى الجو المسرع للواقع التاريخى ، بل يقول أنه كذلك وعلى العكس فان حياة الناس تحتاج بشدة إلى أن تشارك الجامعة — كجامعة — فى شئونه .

فالجامعة يجب أن تتدخل — كجامعة — فى الأمور الجارية : معاملة مواضيع

اليوم من نقطة نظرها هى ، ثقافية ومهنية وعلمية . فالجامعة يجب أن تؤكد نفسها «كقوة روحية» رئيسية ممثلة الوضوح والهدوء serenity فى وسط التخبط frenzy ، وممثلة الجدية فى وجه صغار frivolity وغباء غير خجل .

فكأن السنيور أورتيجا يتفق مع الأستاذ أحمد لطفى السيد فى أن الجامعة يجب أن تكون قريبة من المجتمع الذى تعيش فيه لتؤثر فيه بما لها من خصائص سامية وصفات نبيلة وذلك بجانب وظائفها الأساسية من دراسة وتعليم ضروب المعرفة المختلفة، واعداد الفنيين اللازمين للأمة ، وتثقيف الأشخاص الذين سيكونون قادة لها . إلا أن السنيور أورتيجا يرى أنه لكى تستطيع الجامعة القيام بهذه الوظائف فإنه ينبغى لها أن تجعل العلم — مختلف أنواع العلوم — قوتها ، بل حياتها وروحها .

ويجب ألا يخطر على بال أى شخص أن السنيور أورتيجا قد فكر فى أى وقت أنه يمكن أن توجد جامعة بدون العلم وبدون أن تتشرب روح العلم بل أنه ذكر ذلك صراحة بأن قال أن افتراض الروح العلمية فى الجامعة شىء مبدئى ، وانما الذى يقصده السنيور أورتيجا أن العلم بالنسبة للجامعة أكثر من أن تهتم به كضرب من ضروب المعرفة تدرسه وتعلمه أو تبحثه وتحاضر فيه ، بل يجب أن يكون العلم بالنسبة للجامعة فلسفة ، وطريقته ديدإن لم يكن دين لا تحيد عنه ، فالجامعة فى سلوكها يجب أن تتصف بالخصائص التى تتصف بها دراسة العلم من موضوعية وتجرد ، وأن تبنى جميع تصرفاتها

على الطريقة العلمية scientific method بالتحقق من صحة افتراضاتها بالتفكير العقلى الصحيح والمنطق السليم قبل الوصول إلى النتائج فاذا حادت الجامعة عن أى من هذه الخصائص فى أى وقت من الأوقات أو فى أى أمر من الأمور فقدت الجامعة خاصيتها كجامعة ، وتصبح أقرب إلى كونها مبنى يحوى معهداً منها إلى كونها قوة روحية تؤثر تأثيرا فعالا فى المجتمع .

وبعد ما كتب السنيور أورتيجا « رسالة الجامعة » بأقل قليل من ربع قرن عرف هول(١) الجامعة المثلى بأنها الجامعة التى يدرس فيها أحسن العلماء scholars أحسن أنواع المعرفة لأحسن الطلبة. ويقول أن الجامعات يجب أن تكون رائدة pioneer ذات جرأة فى التجربة ، مستعدة أن تحاول الدراسة الطليعية pilot study والمسح الأول first survey والمادة الأساسية initial course وأن الجامعات يجب أن تمرن قادة وأن هذا يعنى قاعدة عامة للقيادة على كل مستوى فى المجتمع وفى كل محيط للنشاط .

ثم كتب كونانت (٢) العالم الكيماوى والأستاذ الجامعى الذى شغل منصب مدير جامعة هارفارد لحقبة من الزمن كما شغل مناصب أخرى تتصل بالتعليم عامة والتعليم العالى على وجه خاص — كتب بعد ذلك بقليل أن تاريخ الجامعات

---

(1) Cyril O. Houle, Introduction, Universities in Adult Education, UNESCO 1952.

(2) James Bryant Conant; The Citadel of Learning. New Haven, Yale University Press, 1956.

على مدى القرون يظهر بأن للجامعات وظيفتين مختلفين احدهما تقدم الحصو على المعرفة advancement of learning والتعليم المتقدم vanced education ويصف كونانت الوظيفة الأولى بأنها تعبر transcend المكان والزمان وه مستقلة ، أما الثانية وهى التعليم فإنها تحدد بالظروف الاجتماعية للمجتمع community الذى تخدمه الجامعة فى فترة معينة من التاريخ .

بينما ينقل شارل كيد (١) فى كتابه الذى نشره سنة ١٩٥٩ عن جود د. ميليت تعريف الجامعة بأنها فى غرضها الأمثل هى مجموعة من العلماء Scholars متعاونين ومتصادقين يقتسمون مثلا وآمالا عامة توحدهم فى غرض عظيم يعبر حدود تخصصاتهم وقدراتهم ، يهبون أنفسهم للحقيقة كما يفهمها كل منهم ، مهتمين دائماً بتوسيع حدود معرفة الانسان ، مستعدين دائماً لأن يشركوا الآخرين فى هذه المعرفة بغرض سعادتهم المادية والروحية material and spiritual well-being دائماً مخلصين فى خدمة المعرفة ودائماً أحرار من أى شكل من التحكم المطلق tyranny على العقل أو الجسم .

ويقول كيد أن هذه المجموعة من العلماء مشكلة من أجل تحقيق ثلاثة أغراض :

١ – المحافظة على ٢ – ونقل ٣ – وخلق المعرفة

preservation transmispreservation, transmission and creation of Knowledge

---

(1) Charles V. Kidd; American Universities and Federal Rescarch, Blknap Press of Harvard University Press, Cambridge, Mass., U.S.A., 1959

وأن هذه الأغراض لا تنفصل عن بعضها وأن كل اثنين منها يعتمدان على ويقويان الثالث ، وأن المحافظة على توازن طبيعى normal بين الثلاثة أغراض هو على أهمية كبيرة لكل جامعة . ويذكر كيد أن الجامعات الأمريكية — بجانب هذه الأغراض الثلاث — لها تقليد قوى فى خدمة المجتمع سواء كانت جامعات عامة public أو خاصة .

وينقل كيد عن الدكتور فانيفار بوش Dr. Vannevar Bush أن الجامعة تعطى المشتغلين بها حاسة قوية لتماسك المجموعة group solidarity والطمأنينة security بجانب درجة كبيرة من الحرية الشخصية والفكرية personal and intellectual وكلاهما ضرورى لتقدم المعرفة الجديدة ، ومعظمها يمكن أن يسبب معارضة لأنها تميل إلى تحدى العقائد والطرق السارية .

ويذكر كيد أن من أهم وظائف الجامعة أن تستخدم كمكان حيث يستطيع الأشخاص أن يقوموا بالبحث الحر عن الحقائق فى جميع وجوه العالم الفيزيقى والانسان كشخص وكحيوان اجتماعى . ويفسر كيد البحث الحر free inquiry عن الحقيقة بأنه البحث عن المعرفة غير محدود بأغراض المعهد أو بقوى خارجية .

فكأن كيد يرى أن الجامعة تبنى أساساً على المشتغلين بالعلم فيها حيث يقومون بأداء الأغراض الرئيسية للجامعة من المحافظة على ونقل وتخليق المعرفة وهى الأغراض التى اتفق عليها من سبقوه فى الكتابة عن الجامعة إلا أن كيد

يخص بالذكر عاملين — لم يهملهما سابقوه — ولكنه هو يبين ما لهذين العاملين من أهمية كبرى فى حياة الجامعة ومن يقوم بأداء وظائفها . هذان العاملان هما أولا الحرية والطمأنينة كشرط أساسى لتقدم المعرفة ، وثانيهما ما خصه بالذكر من أهمية دراسة الانسان كشخص وكحيوان اجتماعى، بجانب دراسة وجوه العالم الفيزيقى ، وربما رجع هذا التخصيص بالذكر إلى المكان المرموق الذى احتلته الدراسات الانسانية الآن ، وإلى المستوى العالى الذى وصلت إليه ، وإلى ما أظهرته أهمية هذه الدراسات ليس فقط كاضافات هامة للمعرفة ولكن أيضاً لما لها من فائدة كبيرة فى علاقات الناس ببعضهم تنعكس فى حياة أسعد وفى كفاءة أعلا فى أداء كل شخص لوظيفته .

أما هندرسون (١) مدير مركز دراسة التعليم العالى بجامعة ميتشيجان فإنه يعرف الجامعة بأنها : المعهد الذى له برنامج قوى شامل للدراسات العالية والبحث المتقدم advanced research ، ويكون لهذا البرنامج خصائص القوة stregnth والقيمة العالية quality فى المكتبة والمعامل والأجهزة its plant وفى أعضاء هيئة التدريس. ويرى هندرسون أن من خاصية التعليم بها أن توجيه الرسائل ، بالرغم من أنه يكمل للنهاية prosecute شخصياً بواسطة الطالب فإنه يتطلب وقتاً كبيراً من أعضاء هيئة التدريس وعادة تحكم على الرسالة لجنة من أعضاء هيئة التدريس وبذا فان الطالب الواحد يدرس على مجموعة من أعضاء هيئة التدريس .

---

(1) Algo D. Henderson, Policies and Practices in Higher Education, Harper and Brothers, Publishers, New York. 1960.

ويصف هندرسون الجامعة الحديثة بأنها مركز center للبحث وللحصول على المعرفة learning بالنسبة لكل حقولها . وأن الجامعة تتمشى مع وتتوقع التغيير والنمو فى مجتمعها ، ويقول أنها بذلك ليست فقط تعليم قادة المجتمع المقبلين future leaders، بل أيضاً تأخذ دوراً فعالا فى القياده leadership .

فكأن هندرسون اتفق مع غيره فيما عرضه من رسالة الجامعة بالنسبة للمعرفة والمحافظة عليها والإضافة إليها ، وبالنسبة لوظيفتها فى المجتمع وعلاقتها به ، إلا أن هندسون خص بالذكر أن رسائل الدرجات الجامعية العليا يوجهها ويشرف عليها ويحكمها مجموعة من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة بحيث يصبح هذا النظام تحويراً لنظام المشرف tutor لأنه فى الواقع يتكون من توجيهات أستاذ فى موضوع الدراسة الرئيسى Major profesoor ومعه عدد آخر من أساتذة الجامعة من فروع مختلفة من المعرفة يقوم طالب الدراسات العالية بالدراسة فيها وتلقى المحاضرات على أساتذتها والإنتفاع بخبراتهم ، وفى هذا من الفائدة الكثير لأن الطالب فى هذه الحالة يستفيد بخبرات وآراء أساتذة فى علوم عدة ولا شك أن ذلك يفوق تتلمذه على أستاذ واحد فقط . كما أن له فوائد أخرى بالنسبة للطالب فلأنه سيحضر المحاضرات فى فروع أخرى من العلم غير فرع تخصصه فان هذه المحاضرات يؤمها الذين يعدون أنفسهم فى التخصص فى هذا الفرع بجانب غيرهم ممن يقومون بدراستها كمواد تقوى من تكوينهم العلمى ، وفى هذا منافسة أشد بقدر ما فيه من فائدة أعم .

وفى الواقع أن هذا النظام لا يمكن تحقيقه مع تحقيق هذه الفوائد منه — وغيرها كثير أيضاً — إلا إذا نظرنا إلى الجامعة نظرة أعم وأشمل من كونها

مجموعة من الكليات أو المعاهد ، لا يمكن أن يتحقق هذا النظام الا إذا كانت النظرة إلى الجامعة — كما هى إلى المعرفة — نظرة توحد بين فروعها وتقرب بينها ، بحيث يأخذ كل من الآخر ويصب فيه ، فى تقارب مرغوب وتآخ مطلوب ومنفعة متبادلة وترابط متساند ، بحيث أن ازدهار أحدها ينعكس على الآخرين ، وفائدة الجزء تعم على الكل ، مثلما هو الحال بين أعضاء الجسم الواحد ، فقلب ينظم دورة الدم بما يحفظ للجسم كله حيويته ويخلصه مما قد يسبب الضرر له ، ويحتفظ به عند درجة الحرارة المناسبة ، لا برداً ينتج عنه قشعريرة ولا دفئاً يتصبب عنه عرق ، وجهاز هضمى يقوم بتفتيت الغذاء وتكسيره واعطائه للدم فى صورة يسهل له فيها نقله إلى أعضاء الجسم المختلفة والإستفادة به فى بناء ، أو فى طاقة للحركة أو فى دفع أذى ، وجهاز عصبى يحمل الرسائل إلى المخ ويتلقى منه الأوامر ويقوم بنقلها إلى العضو الذى ينفذها ، وهكذا مع بقية أعضاء الجسم كل يتخصص فى أداء وظيفته ولكنها جميعاً تتعاون وتترابط فى القيام بالوظيفة العامة للكائن الحى بما يحفظ عليه كيانه وحيويته ، فاذا لم تعمل الأجهزة المختلفة متعاونة وتنمو معا وتكبر سوياً ، بل إذا لم تكون هذه الأجهزة وحدة واحدة لأصبح مثلها كمثل الشخص إذا نما جسمه وشل نمو عقله فنرى منه الشاذ من التصرفات والعجيب من الحركات ، أو تكون كانسان ازداد طولا وثقل وزناً مع خلل فى قلبه يجعله قاصراً على أن يمده بحاجته أو أن يجارى نموه فمآله لا محالة الا هلاك ، أو كالشخص تزداد بدانة أحد أعضائه فيبدو مشوها قبيح المنظر ، بل وتعاق حركاته وتثقل ، ويبطؤ أداء وظائفه ويتعطل .

فكذلك الجامعة لا تفرق بل تقرب ، ولا تشتت بل تجمع ، ولا تحابى بل تساوى ، ولا تجزىء بل توحد ، فهى تشمل العلم والفن ، والأدب والطب .

والزارع والمهندس، والتاجر والقانونى ، وتربية الأجسام، وتنمية العقول ، وتهذيب النفس وانماء الحس ، ودراسة الدين والأخذ بأسباب الدنيا ، لأن الجامعة ما أطلق عليها هذا الاسم الا أنها تجمع وتوحد ضروب المعرفة الانسانية الكاملة التامة فى دراسة عظيمة شاملة لأوجه العالم الفيزيقى وللانسان كشخص وكعضو فى المجتمع ، بغرض سعادته المادية والروحية .

لذلك نجد أن الجامعة كما عرفها قاموس Larousse — مجموعة من المدارس تسمى كليات تمنح التعليم العالى — يهاجمها الأساتذة الفرنسيون والمفكرون الفرنسيون أنفسهم بشدة فيقول منديس فرانس(١) عن التعليم العالى فى فرنسا أن العقول المتميزة تعيب عليه الصلابة وعدم مرونة الهيكل والإدارة ، وضيق النظم الإدارية وسوء استخدام الحواجز المانعة . بل إن مونود (٢) عزا عدم وجود جامعة بالمعنى الحقيقى فى فرنسا إلى وجود الحواجز الإدارية التى ليس لها أى مبرر ولا تطبقها أى جامعة فى العالم وأن ذلك يؤدى إلى منع تداول وانتقال الرجال والأفكار والطرق وتمنع استخدام الكفاءات الحقيقية فى الأماكن المناسبة ، وتؤدى إلى الجمود وتكون نتيجتها الحتمية ظهور والمحافظة على الاقطاع الحقيقى الذى تمثله كليات الطب

---

(1) Pierre Mendès France; Dix an après ...; Le Colloque National de Caen, 1966; L'Expansion De La Recheche Scientifique, Numéro 23-24, Mai 1967.

(2) Jacques Monod, d'Un Colloque à l'Autre, Le Colloque National de Caen 1966.

أما ليشنروفيس Lichnérowisz(١) فيقول أنه ولو أنه فى مبدأ الجمهورية الثالثة (١٨٧٥) وحدت الكليات إدارياً فى كيان سمى « جامعات » فان وجود هذه الجامعات بقى إلى حد كبير « وهما إدارياً » وأنه حتى فكرة الجامعة بالمعنى الحديث غريبة عن العقلية الفرنسية فالحواجز تفصل بين كلية وأخرى وأن كثيراً من العلوم المتقاربة تجهل بعضها البعض فالعلوم الاجتماعية موزعة بطريقة تحكمية بين كليات الآداب والحقوق بينما علوم أخرى مثل دراسة السكان والتجمع فى المدن لا زالت حائرة تبحث لها عن مكان وأنه تبعاً لهذا الشكل الكلي La structure facultaire فإن تدريس العلوم المشتركة — كيمياء — طبيعة — اقتصاد ... الخ — يصبح غير سهل . كذلك ينتج عن ذلك نقص بعض نواحى التخصص الحديثة مثل الطبيعة النظرية أو الكيمياء الحيوية من بعض الجامعات .

ويقترح أن يعكس هيكل الجامعة ارتباط التعليم والبحث عن طريق نظام الأقسام .

ويعرف ذامانسكى (٢) Zamansky الجامعة بأنها مجموعة أجهزة تقوم بتعليم المعارف الحديثة بواسطة رجال يخلقون هذه المعارف ويبتكرون الأشكال الجديدة للفكر ، وأن تخليق هذه المعارف لا يكون سببه بصورة اضطرارية حاجة إقتصادية مباشرة فالجامعة بالتالى تحقق الخصائص التالية فى وقت واحد :

---

(1) A. Lichnérowisz; Pour des Universités, Le Colloque National de Caen 1966.

(2) Marc Zamansky, Structures Intellectuelles et Administratives de L'Université; Le Colloque National de Caen 1966.

الوصول إلى الحديث دائماً وخلق المعارف الحديثة .

قبول وخلق أشكال جديدة للفكر .

استقلال (نظرى) عن الاحتياجات الاقتصادية .

تعليم المعارف الحديثة و نقل الأشكال الجديدة للفكر .

لذا نجد أن قانون توجيه التعليم العالى[1] Loi d'orientation d'enseignement supérieur الذى سنته فرنسا فى نوفمبر ١٩٦٨ ، ألغى الكليات وأنشأ الأقسام وذكر أن الجامعات لها رسالة أساسية هى زيادة ونقل المعرفة والقيام بالبحث وتكوين الرجال والإهتمام بالفنون والآداب والعلوم والتكنولوجيا .

(1) La Loi d'Orientation de l'Enseignement Supérieur, 7 Novembre 1968, Librairies Imprimeries Réunies, Paris.

الجامعة وحدة

الجامعة فى كونها وحدة أشبه بالضوء الأبيض الساطع والنور المشع المنير إذا مرت أشعته خلال منشور زجاجى أو غيره من أدوات التحليل الضوئى ظهرت مكوناته فى ألوان زاهية جميلة . أحمر وبرتقالى وأصفر وأخضر وأزرق وبنفسجى ، وهى وان تعددت فكلها مستمرة وأن كثرت فكلها متصلة ، ولكنها لا تصبح ذلك الضوء المنير ، ولا ذلك النور الأبيض إلا إذا تجمعت واتحدت ، وترابطت وتوحدت .

كذلك الجامعة لكى تكون الضوء المنير والنور الهادى تكون المعرفة فيها واحدة مستمرة ، والعلم فيها مرتبط متصل ، تؤدى فيها الرياضة إلى الطبيعة ، وهذه إلى الفلك وذلك إلى علوم البحار ، وتلك إلى الأحياء المائية وهذه إلى علوم الحيوان والنبات ، وتلك إلى المزروعات وتصنيعها ، وهذه إلى الهندسة وتطبيقاتها وذلك إلى الصانع ومجتمعه ، ومن ثم إلى الكائن الحى وعلاقاته وإلى الانسان وسلوكه و إلى القوانين التى تحكمه وتتحكم فيه ، وهذا فى طيف مستمـر وطواف متصل يطول معه ضرب المثل ويعجز اجراء الحصر .

فالرياضة واحدة سواء درست لتستعمل فى العلوم الطبية أو الزراعية أو الجغرافية ، والطبيعة قوانينها واحدة فى كل مجالات المعرفة وتطبيقاتها ، والكيمياء التى تدلنا على تركيب مياه البحر هي التى تفسر لنا عذوبة مياه الأنهار وبل وتشرح لنا تكون البرزخ بينهما بحيث لا يبغيان ، وهى التى تفسر لنا احتياجات الحيوان والنبات الغذائية ، بل ان بعض سلوك الانسان

له فى التغيرات الكيماوية الحيوية سبب وتفسير . والفسيولوجيا التى تقوم على على الكثير من فروع الكيمياء لها بالسيكولوجيا أوثق العــــلاقات وأقوى الإرتباطات والسيكولوجيا أو علم النفس وعلم الاجتماع صنوان لا يفترقان وان اعتبر البعض علم الاجتماع فى الطرف الآخر من طيف المعرفة المستمر .

ويستعمل الآن الكربون المشع فى التجارب الفسيولوجية والغذائية للحيوان والنبات وفى غيرها من العلوم كما يستعمل فى الاستدلال على عمر الآثار وفى الحفريات .

والإحصاء قوانينها واحدة سواء طبقت فى الطبيعة أو الكيمياء والطب أو علم الاجتماع أو التغذية أو حفظ الأغذية أو فى تربية النبات أوالحيوان أو فى وراثة الذباب أو الإنسان .

ويقول لنا علماء الإقتصادأن أسسه واحدة سواء استدل بهعلى قيم نواتج البحار والأنهار ، أو نوابت الأرض أو منتجات المصانع أو مستخرجات المناجم .

ودراسة الألوان مهمة للذى يدرس الأغذية وحفظها ،ولازمة للذى يشيد الأبنية ويقيمها ، وضرورية للذى يقوم بطباعة الأنسجة والأقمشة وصباغتها ، وهى أساسية للمشتغل بالديكور والتجميل الداخلى ، ومعرفتها والدراية بها أساس عمل الفنان فى رسم لوحاته مائيةكانت أو زيتية .

وعلوم السياسة واحدة سواء استفاد بها الدبلوماسى أو عالم التاريخ أو المخطط الإقتصادى أو الاجتماعى أو الجغرافى .

كما أن أمواج الراديو واحدة سواء نقلت إلى الآذان الموسيقى الهادئة أو

الأحاديث النافعة أو الخطب الرنانة ، أو استعملها المشتغل بحفظ الأغذية فى المد من عمرها فى صورة تصلح فيها للاستهلاك الآدمى .

و أسس اصابة المرمى واحدة سواء طبقها الصياد الماهر أو الطيار الجرىء .

وأمواج الرادار واحدة سواء اهتدى بها صياد البحار على وجود التجمعات السمكية أو الطيار على ارتفاع الجبال .

والقوانين التى تفجر بها الذرة لتهدم وتدمر هى القوانين التى تفجرها لتبنى وتعمر .

وللأولى والأخيرة ظواهر ونواتج يهتم بها دارسو الذرة والطبيعة والعمارة والكيمياء والحياة تماماً مثلما يهتم بها دارسو علوم الاجتماع والنفس والتاريخ والإقتصاد والجغرافيا والأدب.

وهل يمكن مثلا أن يتم تصميم سفينة – تجوب البحار ناقلة أنواع المنتجات الخام والمصنعة ، وحاملة لركاب من مختلف نواحى الحياة تختلف بينهم المشارب وتتعدد الأمزجة والأهواء – هل يمكن أن يتم تصميم هذه السفينة وبناؤها دون أن يكون هناك تعاون وارتباط وثيق بين ضروب من شتى أنواع المعرفة من هندسة بحرية ، إلى هندسة ميكانيكية وأخرى كهربية ، إلى علم المعادن إلى دراسة لأنواع الوقود المختلفة إلى معرفة بطباع البحار وتياراتها، وطباع الركاب ونفوسهم وتصرفاتهم فى اجتماعاتهم ومجتمعاتهم واحتياجاتهم الغذائية وغير الغذائية . وكل من هذه الدراسات يتشعب ويستمد من ضروب معرفة كثيرة ومن علوم عديدة .

فالدراسة فى الجامعة تثمر والبحث فيها يزدهر إذا كانت منابع المعرفة

ومناهل العلوم كلها قريبة من القائمين بها ، وإذا كان القائمون بها متماسكين متحدين غير منفصلين ، هم فى اتصال مستمر يزكى نور الهمة ويشعل نار المعرفة . ويقول الدكتور عبد العزيز السيد(١) « فينبغى إذا أن نفهم الجامعة على انها كل لا يتجزأ ، وآنها فى عمومها تمثل الثقافة وفى خصوصها تمثل التخصص » . فلا أنفع لأى أستاذ أو باحث من أنه إذا احتاج مشورة من زميل وجده بالقرب منه حقيقة ومجازاً ، لا يحتاج الاتصال به إلا إلى مجرد رفع سماعة التليفون أو أخذ خطوات إلى معمله أو مكتبه لا الكتابة عن طريق الرئيس والعميد والمدير فعميد آخر فرئيس آخر ثم اجابة فى عكس الطريق السابق ، لأن هذا للهمة قاتل وللبحث مثبط . ولكنه أيضاً إذا وجده بالقرب منه مكانا فلابد أن يستطيع التفاهم معه فى معنى ما يريد ، ولا يتأتى ذلك إلا بتفهم نفس اللغة وتشرب نفس المشارب ، ويتولد ذلك فى كل عندما يكون قد درس مع غيره أحد المواد أو الموضوعات كالكيمياء أو الطبيعة أو الرياضة أو التشريع أو علم النفس أو علم التغذية أو غيرها كثير ، وينمو هذا الفهم ويزدهر هذا التفاهم إذا ما زاد عدد المواد أو الموضوعات التى اشتركوا فى دراستها ودرسها وفى تفهمها والبحث عن خفيها والقراءة فى مجلاتها وكتبها والتتلمذ على أساتذتها والزمالة مع تلامذتها .

ومن دلائل ارتباط العلوم واتصال المعرفة أن دراسة ناتج واحد كالقطن مثلا يستلزم دراسة ٤٤ مادة دراسية موزعة على أربعة سنوات (٢) وتتراوح

---

(١) عبد العزيز السيد — المرجع السابق ص ١٩

(١) المعهد العالى لشئون القطن — ملحق مجلة الذهب الأبيض — مايو ٦٥

بين دراسة المحاصيل إلى النبات إلى الإحصاء إلى الإقتصاد إلى علم النفس، إلى الاجتماع إلى اللغات الأجنبية والترجمة والمراسلات ، إلى تربية النباتات إلى التسويق إلى الفرز إلى اقتصاد البنوك والزراعة والصناعة إلى الآفات الحشرية والحيوانية والنظرية ومقاومتها إلى إدارة الأعمال إلى تكنولوجيا القطن ، ومنتجاته الأخرى ، إلى التعاون إلى المحاسبة إلى القانون إلى التمويل والتأمين وغير ذلك من المواد الأكثر تخصصاً .

كذلك نجد أن الدكتور يوسف تونى(١) يكتب معالجا لغة الجغرافيين العرب ومصطلحاتهم مبينا اتصال الجغرافيا — التى قد تقسم على أنها دراسة أدبية — يبين اتصالها بالكثير من العلوم الأخرى فى ارتباط وثيق واتصال متين يفيد هذه مثلما تستفيد به تلك ، كتب يقول « إن الجغرافيا بحكم اهتمامها بطبيعة الأرض (سواء اليابس أو الماء أو الهواء) وطبيعة الحياة (نباتية كانت أو حيوانية أو بشرية) تتصل بكثير من العلوم الأخرى بصلة القرابة والنسب . وهناك على الأقل أكثر من عشرة علوم رئيسية — غير جغرافية — يقحم الجغرافيون أنفسهم ميادينها . إما مستزيدين منها أو مزيدين عليها . وهى على سبيل المثال لا الحصر : الجيولوجيا وعلم الظاهرات الجوية ، والمساحة والمياه (أو الهيدرولوجيا) أو التربة (بدولوجيا) ، والصخور ، وايكولوجية النبات ، وايكولوجية الحيوان ، والإنثروبولوجيا الاجتماعية ، وعلم السكان (أو الديموغرافيا) ، هذا إلى علوم أخرى قلت أهميتها

---

(١) يوسف تونى — لغة الجغرافيين العرب ومصطلحاتهم ، حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس سنة ١٩٦٥

للجغرافيين الآن — بعد أن استقلت عنها —كعلم آثار ما قبل التـاريخ ، والإنثروبولوجيا الطبيعية ، والجيوبولوتيكا ، والفلك وغيرها » .

ثم يستفيض المؤلف في ضرب الأمثلة على اللغة الواحدة والاصطلاحات المشتركة التي يستعملها المشتغلون بهذه العلوم جميعاً — وغيرها— ممثلة لاجزاء من المعرفة الانسانية الكاملة وكيف أنه في الوصول إلى هذه المصطلحات وترجمتها تشتت الجهود وتتباين النتائج بحيث أن المصطلح الواحد له أكثر من ترجمة في كل فرع من فروع هذه العلوم ، أو أن المعنى الواحد يعبر عنه بأكثر من مصطلح مما يهز من مفهوم المقال ومدلول الكتاب لدى القارىء مع ما ينتج عن ذلك من تشتيت للجهد فيه اضاعة للمجهود وتعطيل لتقدم العلم وتأخير لزيادة المعرفة . وان كان هذا مثل قد ضربه لنا جغرافي من واقع تجاربه ودراساته ، ومن ما صادفه في كتاباته ومؤلفاته (١) ، فإن الأمثلة في العلوم الأخرى كثيرة وفي ضروب المعرفة المختلفة عديدة ، ومرد هذا إلى الفصل الزائف بين أجزاء المعرفة الواحدة ، ومرجعه إلى الحدود المصطنعة بين العلوم المختلفة ، وإلى التكرار المبتور والإعادة الناقصة .

كذلك يذكر جورج ديبونت (٢) أنه من أسباب تأخر البحث والعلم في فرنسا أن التعليم الفرنسي العالي مقسم تماماً إلى كليات ومدارس عليا .

---

(١) يوسف تونى — معجم المصطلحات الجغرافية — دار الفكر العربي ١٩٦٤ ٦٦٨ صفحة .

(2) George Dupont, Qui Serai l'Einstein Français ?, Science et Vie pp. 54 — 64 Avril 1965.

كلها تغير من بعضها ، فالمشتغلون بالعلم لا يعبرون طريق المشتغلين بالأدب والمشتغلون بالقانون لا يعرفون المشتغلين بالطب .

ولقد تنبه القائمون على انشاء الجامعات إلى وحدة المعرفة والعلم وإلى أضرار التجزئة الزائفة والتفصيص المخل والحدود المصطنعة فنجد أن جامعة سسكس الانجليزية التى انشئت فى سنة ١٩٦١م تكتب فى دليلها (١) عن تكوين الجامعة The Pattern of the University

«... أنه منذ البداية اعتقد القائمون على انشاء sponsors الجامعة فى طريقة جديدة new approach للدراسات الجامعية فالبرنامج وضع بحيث يعطى طلبة دراسات الدرجة الجامعية الأولى undergraduate مزايا كل من التخصص والتعليم العام . ولهذا الغرض فإن الجامعة تم تنظيمها وتخطيط الدراسة بها لا على أساس أقسام departments بل كمدارس للدراسة Schools of studies فى كل مدرسة يتخصص طلبة الدرجة الجامعية الأولى فى علم معين particular discipline — أى موضوع دراساتهم الرئيسية ولكنهم أيضاً ينتظمون مع آخرين فى مواد مشتركة common courses ممن قد يدرسون هذه المواد بصفة أساسية majoring وهذه الدراسة للموضوعات الرابطة المشتركة contextual مصممة حتى يمكن لهؤلاء الطلبة أن يتعرفوا على طرق مختلفة different approaches للحصول على المعرفة ، لتظهر أن الموضوعات على اختلافها متصلة ببعضها البعض ، ولتوضح كيفية تطبيقها فى العالم الحديث .

---

(1) The University of Sussex Prospectus. 1964 - 65, p. 19.

ويذكر الدليل أيضاً أن هذه الموضوعات الرابطة contextual أو المشتركة Common قد صممت لربط وتطبيق علوم disciplines مختلفة ولتنمى مدى الإدراك الفكرى intellectual understanding للطالب ... لذلك يقول الدليل عن دراسة العلوم Sciences أنه فى دراسة (الطالب) لعلم آخر لا تشتت الجهود على عدد كبير من الموضوعات topics ، ولكن تركز على الموضوعات الأكثر تقدما فى العلم الذى له علاقة خاصة بموضوعه الرئيسى ، موضحه بذلك denanstrate أنه ليس هناك حدود فاصلة definable baundaries بين العلوم المختلفة .

فنرى أن هذه الجامعة الانجليزية الحديثة قد فطنت إلى أن وحدة الجامعة نابعة من وحدة المعرفة وأن الجامعة كوحدة هى الطريق للحصول على الشخص الجامعى الحقيقى ، الشخص المتزن فى تصرفاته وحكمه على الأمور لأنه متوازن فى معلوماته الثقافية والعلمية والمهنية ، يتميز بالتبصر والبصيرة ، ويتصف بحسن الإدراك ، وينعت بسرعة الفهم وعمق التفهم ويعرف بسعة الأفق واتساع المدارك ، دائماً يجعل الفكر رائداً له .

لذلك نجد قانون توجيه التعليم العالى الفرنسى (نوفمبر ١٩٦٨) سمح للأقسام المختلفة أن تتحد على مزاجها فى وحدات للتعليم والبحث Unités d'enseignement et de recherche لضمان اتصال المشتغلين بالأنظمة العلمية المختلفة وتقاربهم وتفاهمهم كما نص على أن الجامعات عديدة النظم العلمية Pluridisciplinaires ويجب أن تجمع كلما أمكن ذلك بين الفنون والآداب والعلوم والتكنولوجيا .

ذلك أن فوائد ومزايا ومنافع وحدة الجامعة والجامعة كوحدة لا تعود على المعرفة والعلم والأستاذ والباحث فقط بل تعود أيضاً على الدارس والطالب. فإن الطالب إذا درس الكيمياء كمادة دراسية لازمة لدراساته الأخرى مع طلبة يتخصصون فى دراستها فان ذلك يزكى فى نفس كل منهما من المنافسة بقدر مايولد فيها من الأخاء ، ويربى فيها الزمالة مثلما ينمى فيها الصداقة ، ويعودهما على التعاون بقدر ما يدفعهما إلى التفوق .

فهل هناك أكثر من ذلك منفعة علمية وتهذيب للنفس وترهيف للحس ! ؟

نعم ، هناك فوائد أخرى جليلة وعديدة فإن الطلبة الذين سيتعودون على هذا التعاون وعلى هذه الزمالة وعلى هذه الصداقة هم أولئك الخريجون الذين سيخرجون إلى المجتمع منهم المدرس ومنهم المهندس ، ومنهم الزارع ومنهم الصانع ، ومنهم الطبيب ومنهم الممرضة ومنهم الصيـــدلى ومنهم الاجتماعى ، كل منهم يحترم الآخر ويجله لأنه اشترك معه فى دراسة وتزامل معه فى معمل وتتلمذ معه على أستاذ، فهو يكن له من الاحترام ما يكنه لنفسه ويحمل له من التقدير بقدر ما وصل إليه علمه وفنه . فلا طائفية إذا ولا مهنية بل خدمة وقومية ، ولا تسام ولا تعال بل أخوية ووطنية .

ومن فوائده أيضاً أن يصبح هناك مكان واحد للدراسة وتدريس الكيمياء ومكان واحد للدراسة وتدريس الطبيعة ومكان واحد للدراسة وتدريس

الحيوان أو النبات أو الاقتصاد أو الإحصاء أو الاجتماع أو علم النفس أو الأنثروبولوجيا أو الجغرافيا أو الأراضى (التربة) أو الهيدرولوجيا أو الرياضة أو الميكانيكا أو الذرة أو التاريخ ... الخ . بدل أن يتعدد الدارسون والمدرسون والباحثون والمعامل فى بعثرة للأموال وفى مضيعة للجهود بل هو توحيد مفيد ووحدة موفرة ، فإن الوفر فى الجهود والوفر فى الأموال التى تنفق فى إقامة المعامل والمبانى وشراء الكيماويات والأجهزة التى تتعدد وتتكرر يمكن أن يوجه إلى تحسين قيمة الدرس وتعلية شأن البحث بحيث يصبح النفع أعم والفائدة مضاعفة .

ليس هذا فقط ، بل إن هذا يعنى أيضاً لم شعث المراجع والمجلات والكتب المبعثرة بين المبانى المختلفة فى مبنى يتوسط أماكن الدراسات كلها بحيث يستطيع أن يصل إليه ويؤمه الجميع يجدون فيه جميع أنواع المعرفة سهلة المنال وان اتسعت فى المجال . مما يسد النقص المعيب ويمنع التكرار المبتور . ويؤدى الوفر فى الأموال هنا إلى إمكان الحصول على مراجع أكثر والاشتراك فى مجلات أوفر مما يزيد من قيمة المكتبة . ولا يخفى علينا أن من خصائص الجامعة مكتبة غنية بالمراجع والمخطوطات القديمة ، كما هى حافلة بالكتب والمجلات الحديثـــة ، من جميع البلاد القريب منها والبعيد ، والدانى منها والنائى وبجميع اللغات المطروق منها وغير المطروق .

وإن كان فى هذا من الفائدة ما يكفى وما يشفع فانها مع ذلك لاتقتصر على هذه بل نجد أن وحدة الجامعة ، والجامعة كوحدة تنعكس على النواحى الاجتماعية والرياضية والفنية بين الطلاب والأساتذة فتقويها وتنميها وتشحذها

وتغذيها وفى ذلك تربية للنفس وتنمية للجسم وتهذيب للحس . ذلك أن فرق الجامعة الرياضية تتكون فى هذه الحالة من الطلبة الذين يدرسون مختلف أنواع المعارف فتزداد بينهم الألفة فى حلبة الرياضة ويشعرون بولاء للجامعة كوحدة ويرتفع فى نفس الوقت مستوى الفرق لأنه سيكون هناك فريق واحد كبير لكرة القدم وآخر لكرة السلة والكرة الطائرة والتنس وكرة اليد وغيرها كثير ، بدلا من أن تتفرق الجهود على عدة فرق لكل من هذه الرياضات المفيدة .

كما نجد أن مجال الخدمة الاجتماعية فى جمعياتها المختلفة يزداد باتساع قاعدتها ويرتفع مستوى أدائها لأن المشتركين فيها يمتون وينتمون إلى مختلف أنواع الدراسات . فهذا يدرس التاريخ ، وذلك يدرس الصيدلة ، وهذه تدرس الهندسة ، وتلك تدرس الاجتماع ، وآخر يدرس الجغرافيا ، وغيرهم يدرس الفلسفة أو الأدب أو القانون أو الاقتصاد أو تربية الحيوان ، أو بناء السفن أو بناء السدود أو استصلاح الأراضى أو تصنيع الألبان وغيرها من مختلف نواحى المعرفة وسائر أطياف العلم .

كذلك الحال مع النواحى الفنية فنجد أن تكوين فرقها المختلفة يعكس أنواع الدراسات المختلفة فى الجامعة بحيث أن نتاجها سواء فى التمثيل أو الرسم أو الموسيقى يكون كالسيمفونية الجميلة منسق يتصف بالهارمونى وإن صدرت أنغامه عن مختلف الآلات كبيرة كانت أو صغيرة ، نحاسية كانت أو وترية فى لحن جميل عذب .

تلك هى الجامعة بحق سيمفونية رائعة ، ولحن متناسق ونغم عذب ، تربطه وحدته وان صدرت الحانه وان جاءت نغماته من مختلف الآلات ،

وتبقى الروعة فيه ما بقيت وحدة النغم وان اختلفت الآلات، وما استمر تناسق اللحن وان تعدد اللاعبون ، فإن غاب أحدها أو تقدم أو تأخر حتى بالقدر النذر من الزمن ، أصاب اللحن النشاز وفقد النغم الجمال ، وغاب عن السيمفونية روعتها ، وعن الجامعة خاصيتها .

الجامعة شخصية

عندما أرادت دائرة المعارف الأمريكية The Encyclopcedia Americana أن تعرف الجامعة كتبت أنه عندما نتكلم عن الجامعات الإنجليزية ، أو الجامعات الألمانية أو جامعة باريس يكون فى مخيلتنا العقلية معاهد تعليمية ذات طابع خاص — إن لم يكن حقيقة وحيد — لها تنظيم وطريقة مبتكرة وأغراضها وطموحها واضحة ويمكن أن تعرف .

ولو أنه حقيقة أن الجامعات الإنجليزية تختلف عن الجامعات الألمانية فى خواصها وطرقها وتنظيمها فان الإختلافات بين الجامعات الإنجليزية نفسها اختلافات كبيرة (١) وكذلك الأمر بين الجامعات الألمانية بعضها البعض بحيث أن هذه الاختلافات لا تسمح بأن تجمع هذه الجامعات الإنجليزية أو الألمانية فى مجموعة واحدة الا فى حدود معينة ، كأن نقول مثلا أن الجامعات الإنجليزية هى الجامعات التى تقع فى الجزر البريطانية وتستعمل اللغة الإنجليزية فى أغراض التعليم والبحث بها ولكنا لا نستطيع أن نتعدى ذلك فى كثير لأن النظم والطرق والأغراض والوسائل وما تهتم به كل جامعة انجليزية يختلف كثيراً عن زميلاتها الأخرى ، فلا يمكن لامرىء منصف ولا لشخص مطلع أن يوحد فى الوصف بين جامعات كامبريدج وليدز وبريستول ، أو

---

(1) Higher Education, Report of the committce on; Professor Lord Robbins, C.B., Chairman, Her Majety's stationery office, London, 1963. chapter IV.

جامعات اكسفورد ولندن وليفربول لأن لكل من هذه الأسماء مدلولها ولكل من هذه الجامعات ما يميزها ، ولعل المثل الذى أعطيناه لجامعة سسكس عند الكلام عن وحدة الجامعة يبرهن على ما نذهب إليه هنا .

وكذا الحال بالنسبة للجامعات الألمانية أو الفرنسية أو الأمريكية أو غيرها فإن ما يتبادر إلى الذهن من مدلول ومعنى عند سماع اسم جامعة هارفارد أو ييـــل أو كاليفورنيا أو لويزيانا أو أوريجون أو هامبورج أو برلين أو باريس أو ليون أو أوبسالا أو الرباط أو طوكيو أو موسكو أو بارى أو ميلانو أو نيودلهى أو غيرها يختلف باختلاف هذا الإسم ويتباين ، مما يضفى على كل ما يميزه ويشخصه ويعينه فى تصور المستمع وفى عقليته ومخيلته .

فكل جامعة من هذه الجامعات لها من الخصائص ما يميزها فى وسط أى جمع منها ، ولها من التنظيمات والطرق ، ومن الاهتمامات والأغـراض ، ومن التاريخ والتراث ما يعينها فى نظر كل شخص وما يشخصها بالنسبة لكل فرد والمعجم الوسيط يقول فى هذا المجال « شخص الشيء عينه وميزه عما سواه »، وعن « الشخصية: صفات تميز الشخص عن غيره ، ويقال فلان لا شخصية له : ليس له فيه ما يميزه من الصفات الخاصة ».

أما دائرة المعارف الكبرى La Grande Encyclopédie فتقول أنه يمكن تعريف الشخصية personnalité بأنها ذلك الذى يجعل الكائن مستطيعاً أن يلعب دوراً فى دراما الحياة العامة ، وهى التى تسبغ عليه شكلا physionomie خاصاً propre ونشاطا مميزاً action distincte فى المجموعة ensemble التى ينتمى إليها .

والشخصية هى التى تكون فرديته (شخصيته) individualité ليس فقط الفيزيقية physique بل أيضاً الخلقية (المعنوية) morale والاجتماعية

فإذا كان لأى كائن ، فرداً كان أو معنوياً ، طالباً كان أو أستاذاً ، قسما كان أو جامعة ، إذا كان لأى من هؤلاء — وحقيقة لكل هؤلاء — أن يكون لكل منهم شخصيته لوجب أن يكون لكل منهم الدور الذى يلعبه فى الحياه العامة فيؤثر فيها وتؤثر فيه ، ويوجهها وتوجهه ، وأن يكون له من الصفات ما يميزه ومن الخصائص ما يعينه ومن الطباع ما يشخصه .

ويكتب الدكتور محمد عزيز الحبابى(١) عميد كليةا لآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الرباط « الشخصية هى المنتهى المشترك لظاهرات تتعلق بالسيكولوجيا الفردية ، وبالسيكولوجيا المجتمعية، داخل مجموعة من الشروط اللازمة للسلوك ، ازاء المواقف الحالية » .

ويستطرد الدكتور الحبابى قائلا « وكل شخصية لا تتأكد الا باستنادها على الإرادة والنشاط : النشاط يظهر الإرادة ، والإرادة تخلق فى الوعى الاثارات الأولية التى تطبعه بطابع الحيوية .

« فالشخص ، على هذا ، سلسلة من الأفعال الإرادية ، اختلط بعضها ببعض ، ورممها مجهود واحد بين مراحل الحياة المتتابعة ، كما وحد بين الأهواء العديدة ، والإشارات والفعاليات الماضية ، وبين ألوانها العاطفية ، وتجارب النجاح والفشل والأهداف المختلفة ... » .

فتكوين شخصية أى كائن، فرداً كان أو معنوياً ، هو نتاج لعوامل كثيرة

---

(١) محمد عزيز الحبابى ، من الكائن إلى الشخص ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ ص ٨٥ .

فالتراث الذى يصل إليه ، بالميراث أو بالاكتساب ، بالتجربة الفاشلة أو الناجحة ، مادياً كان أو ثقافياً ، عقليا أو عاطفياً يلعب دوراً هاماً فى بناء شخصيته وتكوينها ، بجانب فعالياته وامكانياته فى ضوء الأهداف والأغراض التى يرسمها لنفسه ويضعها أمامه ، لأداء رسالته فى الحياة وفى البيئة التى ينتمى إليها ، مؤثراً فيها ومتأثراً بها فى نشاط مستمر وديناميكية وحيوية تتصف بالارادة والحرية .

بل إن تكون الشخصية ليس فقط مجموع هذه العوامل بل هو أيضاً التفاعلات والتداخلات interactions التى تحدث بين هذه العوامل مع بعضها البعض ، ويختلف مقدار هذا التفاعل والتداخل من شخص إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى. فالذين يقطنون فى بيئة معينة معرضين لنفس العوامل والتراث والإمكانيات والفعاليات كثيرون ولكن عظماؤهم معدودون ، والجامعات فى الوطن الواحد متعددة وقد يكون فى متناولها نفس التراث ونفس الإمكانيات والفعاليات ولكنها تختلف فيما كونته لنفسها من قيم تميزها ومن خصائص تعينها ومن صفات تشخصها ، أى فيما كونته لنفسها من شخصية ، وما ذلك راجع إلا إلى اختلافها فى معالجتها للتراث الذى هو فى متناولها ، وفى طريقة استعمالها لامكانياتها وفعالياتها ، ومقدار ما تتصف به من ارادة وحيوية ومن استقلال وحرية ، فى رسم وتنفيذ رسالتها بالنسبة للمعرفة وللمجتمع والبيئة التى تضمها.

وفى سنة ١٩٥٩ م كتب الدكتور محمد فؤاد مهنا(١) « ... إن قانون

---

(١) محمد فؤاد مهنا ، جامعاتنا مؤسسات عامة — مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٥٩ . ص ٢٢ .

الجامعات منح الشخصية المعنوية لكل جامعة على حدة وجعلها بذلك شخصاً إدارياً مستقلا ، وأنشأ فى كل جامعة هيئات إدارية خاصة عهد إليها بادارة شئون الجامعة متبعاً فى ذلك الأسلوب اللامركزى فى التنظيم . ولكنه مع ذلك ورغم ذلك لم يمنح هذه الهيئات حرية العمل فى مباشرة الإختصاصات التى تقررت لها فى حدود ما تتمتع به قانوناً من سلطة تقديرية ، ولكنه أخضعها على العكس لسلطة هيئة مركزية أنشأها لهذا الغرض وجعل مقرها بالقاهرة بعيداً عن مقر الجامعات بالاسكندرية وأسيوط ودمشق وحلب وغيرها : وبهذا الوضع أصبحت الهيئات الجامعية على تعددها بمثابة إدارات فى نظام مركزى تتطلع فى كل وقت نحو المجلس الأعلى المستقر فى القاهرة تنتظر ارشاداته وتوجيهاته لا فى كليات المسائل التى تدخل فى اختصاصها فقط ولكن فى جزئياتها التفصيلية أيضاً » .

فإذا كان لجامعة كجامعة الاسكندرية – على سبيل المثال – أن يصبح لها ما لهذا الاسم من مدلول يذكر التاريخ له العظمة ورفعة الشأن لوجب عليها أن تجعل من كل التراث الذى تستطيع الحصول عليه ليس جزءاً من كيانها فقط بل يجب أن تجعله من حياتها لا ينفصل ومن حيويتها لا يفترق تأخذ منه وتعطيه وبحيث تستفيد من جميع امكانياتها وفعالياتها فى ديناميكية وحيوية ونشاط مستمر لتحقيق رسالة اختطتها لنفسها وأغراض وضعتها نصب أعينها لخدمة البيئة التى تحمل اسمها والوطن الذى يظلها ، والشعب الذى تنتمى إليه ، والقارات التى تتوسطها وتكون لها بمثابة المركز ونقطة التشعب ، والمعرفة الانسانية التى تستمد منها وتضيف إليها ، مؤدية دوراً قيادياً فى هذه المجالات بارادة حرة نابعة من ذاتها .

وما ينطبق على جامعة الاسكندرية ينطبق على أى جامعة أخرى غير أن هذا لا يمنع من تنسيق جهود الجامعات التى تخدم مجتمعاً واحداً أو التى تضمها منطقة واحدة ، حيث تتأثر فى هذه الحالة بتشابه الظروف وتقارب العوامل ، تأثراً ينعكس بصور مختلفة على أهداف هذه الجامعات وأغراضها ووسائلها ، إلا أن هذه التنسيق يجب ألا يتعارض بأى شكل وفى أى وقت وبأية وسيلة مع ما سبق ذكره من المحافظة على ارادة كل من هذه الجامعات وحريتها واستقلالها ومن ثم شخصيتها .

لذا نجـــد أن قانون توجيه التعليم العالى الفرنسى الجديد(١)(نوفمبر عام ١٩٦٨) وإن كان قد سمح بتكوين مجلس وطنى يساعد وزير التعليم الوطنى وبرئاسته ولكن اختصاصاته تخطيطية واستشارية، كما سمح بقيام مجالس فى المناطق المختلفة تنسق بين الجامعات التى توجد فى المنطقة كما نص على استقلال وذاتية الجامعات بل على استقلال الأقسام وذاتيتها ، وأنها ووحدات التعليم والبحث تضع لوائحها وتحدد هيكلها الداخلى وعلاقتها بالوحدات الأخرى بنفسها.

---

(1) La Loi d'Orientation d'Enseignement Superieur Op. Cit.

الجامعة حرية

كتب أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد فى رسالة الجامعة(١) يقول :
« إن التعليم الجامعى أساسه حرية التفكير والنقـــد على وجه الاستقلال لا الحفظ والتصديق لكل مايقال. كذلك التربية الجامعية قوامها عندنا حرية العمل » .

وكذلك نجد أن كيد (٢) يكتب أنه حقيقة ما لم تضع الجامعات الحصول على والاحتفاظ بالحرية والإمتياز freedom and excellence فوق كل غرض آخر ، فانها تميل إلى أن تفقد شخصيتها كجامعات ، وتفقد مقدرتها على القيام بوظائفها التى تبرر وجودها ، وامتيازاتها وحصانتها التى منحها إياها المجتمع . فالجامعة يجب أن تحافظ على الحرية كشرط أساسى ، وحقيقة كسبب لوجودها .

ولزوم الحرية للجامعة ينبع من طبيعة الجامعة ورسالتها وأغراضها ، فإذا كان على الجامعة أن تحافظ على المعرفة وتنقلها وتضيف إليها لوجب أن تتوفر لها وللذين يقومون برسالتها ويحققون أغراضها ظروف الحرية والتنمية والاستقرار وعدم القلق ، إذ أنه كثيراً ما يكون طريق الوصول إلى الجديد مرصوفا بالشك والتشكيك فى القـــديم ، فاذا لم تتوفر حرية وضع القديم تحت الفحص بل أخذ قضية مسلمة ، فكيف يمكن التوصل إلى الجديد ، أو

---

(١) احمد لطفى السيد — المرجع السابق .

(2) Kidd, Charles — Op. Cit.

حتى إثبات صحة القديم ، وتاريخ تقدم العلوم والمعرفة ، والحضارة والمدنية يعطى البرهان تلو البرهان على هذا القـــول بما لا يدع مجالا لتفصيل أو لضرب مثل ، غير أن نقول أن العظة والدرس الذى نأخذه من هذا التاريخ أن مقدار تقدم المعرفة يتناسب تناسباً طردياً مع مقدار ممارسة الحرية المكفولة للهيئات والأفراد القائمين عليها فى زمان ومكان معينين .

وقد قيل (١) أن المعنى الكامل لنظرية داروين فى التطور أنه لا يوجد حد ثابت أو شكل مثالى للمعرفة وأنه على العكس فالمعرفة نسبية دائماً ويتناولها التحقيق Undergoing verif ication .

كذلك فالحرية الأكاديمية هى الطريق إلى تحرير الفردية الخلاقة وروح الإبتكار فى الطالب ، فكيف يمكن لهذه الصفات أن تظهر — وعلى الأصح أن تتحرر — إذا لم ير الطالب بالعين ولم يعرف بالمثل ولم يتعلم بالتجربة أن الاختلاف والمناقشة ، لا التصديق والموائمة ، وأن الفحص والتدقيق لا المرور مر الكرام والتلقين ، هى أساس التعلم ، وقاعدة الرقى ، ومنبع الإمتياز .

وقد نشرت لجنة من أساتذة جامعة هارفارد سنة ١٩٤٥ م فى تقريرها عن التعليم العام فى مجتمع حر (٢) General Education in a Free Society أن المهمة الحقيقية true task للتعليم هى الملاءمة بين حاسة النقل والتقليد pattern والإتجاه direction المشتقة من التراث ، مع حاسة التجربة والإبتكار المشتقة من العلم حتى يمكن أن يوجدوا سوياً وبفائدة .

---

(1) Brubacker and Rudy, Op. Cit. p. 306.

(2) Brubacker and Rudy, Op. Cit. p. 294.

وقد قال سقراط أن الحيــــاة التى لا تفحص لا تستأهل أن تعاش

The unexamined life is not worth living

كذلك فالحرية لازمة للجامعة بقدر ما أن من رسالة الجامعة وواجبها تكوين قادة المجتمع المقبلين وتمرينهم وغرس الخصال الحميدة فيهم وتهذيب حسهم والسمو بنفوسهم ، والإرتفاع بوطنيتهم .

وفى هذا يقول الميثاق : « ... إن ممارسة الحرية تخلق القيادات المتجددة للعمل الثورى ، وتوسع هذه القيادات وتدفعها دائماً إلى الأمام ، وتخلق قيادة من التفكير الجماعى القادر على صد نزعات التحكم الفردى ، ومن ثم فهى توفر للعمل الوطنى ضمانات بعيدة المدى »

وكذلك فإن مسئولية الجامعة فى المحافظة على حريتها ترجع إلى وتنبع من واجبها نحو المجتمع ودورها الطليعى فيه ووظيفتها الريادية له فنجد مثلا أن اعلان الجمعية الأمريكية لأساتذة الجامعات (١) Declaration of the American Association of University Profeseors ينص على أن دور الجامعة فى الرأى العام يجب أن يكون مساعدة إعلام هذا الرأى وجعله أكثر حذراً Circumspect وممارسة للنقد الذاتى self-criticism وواضح أن هذه الوظيفة تتأثر impaired بأى تقييد يوضع على الحرية الأكاديمية فالرأى العام على ذلك يجب أن يعتبر الجامعة محطة تجارب فكرية intellectual حيث قد تنبت الأفكار الجديدة وحيث نتائجها ، بالرغم من كونها غير مقبولة بالنسبة للمجتمع ككل ، يسمح لها بأن تنضج وأخيراً ربما تصبح جزءاً من غذاء الفكر المقبول للشعب أو للعالم

---

(1) Brubacker and Rudy, Op. Cit p. 109.

ويكتب بروباكر ورودى (١) أنه لكى نتجنب المأساة — إذا ماكان الرأى العام غير مستنير unenlightened أو لم تكن معركة الحقيقة ضد الخطأ دائماً مفتوحة open ، وقد لا تظهر الحقيقة دائماً كما تشهد التواريخ الحديثة لألمانيا النازية وروسيا الشيوعية فإن الحرية الأكاديمية يجب أن تثبت فى القانون الطبيعى natural law أو فى الدين ، ويصبح الأستاذ فى هذه الحالة حامل الكلمة (bearer of the word) ، ويجب — مثل سقراط — أن يدين بالولاء للإله بدلا من الجماهير populace .

ويستطرد المؤلفان أنه فى قضية أحد أساتذة جامعة ولاية نيوهامبشير New Hampshire ضد هذه الولاية كتبت المحكمة العليا للولايات المتحدة United States Supreme Court فى حيثيات حكمها أن هناك خطراً عظيما على الشعب ما لم يكن هناك تساؤل حر فى الجامعات : ليس ذلك فقط بل إن التساؤل الممتاز scholarly enquiry لا يمكن أن ينتعش فى جو من الشك وعدم الثقة فعدم الخوف Fearlessness صفة فى العمل الأكاديمى سهلة الكسر fragile مثلما هى لا يمكن الاستغناء عنها indespensible بالنسبة للعالم scholar ليس فقط فى عمل تعديلات فى الإطار الاجتماعى المتعارف عليه ولكن أساسياً فى إعادة فحص اطار المرجع نفسه .

وترى لجنة روبنز (٢) أن حرية الجامعة تمتد إلى عدة نقاط منها حرية التعيين من غير تدخل أى سلطات خارجية . كذلك اختيـار البرامج

(1) Brubacker and Rudy, Op. Cit. p. 315.

(2) Robbins Committee Report. Op. Cit. chapter XVI

والمستويات Curicula and standards تعتبره اللجنة أساسياً لكل جامعة وتقول أنه لايوجد أى حجة argument تبرر أى املاء مركزى خارجى فى هذا الشأن ، فالحرية فى تجربة المحتويات والطرق هى من أكثر الضمانات للكفاءة والإكتشاف efficieny and discovery .

وتعتبر اللجنة أن قبول الطلبة هو حق من حقوق كل جامعة على أن توضع له ترتيبات لاختيار الطلبة بحيث تكون هذه الترتيبات عادلة ويكون عدلها واضحاً . وترى اللجنة أن الجامعة يجب أن تمارس الحرية فى تحديد العدد الذى تقبله بالنسبة للامكانيات resources التى يمكن أن تحصل عليها . كذلك فان اللجنة ترى أن متطلبات requirements الدخول هى من حق معاهد التعليم العالى بعد التشاور مع المدارس .

كذلك ترى اللجنة أن من حريات الجامعة التى يجب المحافظة عليها حرية إيجاد توازن بين التدريس والبحث بحيث لا يجور أحدهما على الآخر تبعاً لظروف كل معهد .

وتشير اللجنة إلى أمثلة نمو جامعات كامبريدج واكسفورد والجامعات الاسكتلندية على خطوط مختلفة مع استعمال طرق والإهتمام بمواد مختلفة كمثال لمزايا حرية النمو freedom of development وتعتقد اللجنة أنه من الممكن إيجاد وسائل وترتيبات بحيث يمكن تجنب أى ضغوط وتدخل فى الحياة الأكاديمية من خارج الجامعة .

ولعل تاريخ نهضة العلوم فى ظل الدولة الإسلامية خير برهان على أثر الحرية العلمية ، فان ازدهار العلوم دائماً صاحب حرية الدرس وتقدم المعرفة

لازم حرية البحث وفى هذا المعنى يكتب الدكتور مصطفى السباعى(١) :
« إن الإسلام جعل أساس الوصول إلى الحقائق العلمية المتصلة بهذه العوالم هو « التجربة » و « التفكر » و « الخبر الصادق » ونتيجة هذا كله أن ينفتح أمام العقل طريق البحث العلمى المجرد من كل قيد يحول دون انطـلاقه . وهذا هو الذى وقع فى تاريخ الإسلام ، وكان أول حرية ينالها العقل فى ظل الديانات .

« استطاع العقل بهذا الجو العلمى الحر أن ينطلق فى ميادين الآداب والفلسفة والعلوم . وأن يجتهد ويستنبط . من نصوص الشريعة ما تؤهله لذلك وسائل الاجتهاد والاستنباط . وأن يتدبر الكون وأحداثه . وأن يناقش الآراء ويفاضل بينها . ويختار منها ما يراه أقرب إلى الصواب . وأوفق للعقل مهتدياً فى ذلك كله . بقوله تعالى « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب » .

« وفى هذا الجو العلمى الحر . والجو الفكرى المنطلق . نشأت المذاهب وتعددت الآراء . وكثرت المدارس الفكرية . وتنوعت الحلقات العلمية . وكان لكل ذى رأى اتباعه . ولكل أمام مؤيدوه .

« وابتدأت حلقات العلم تنمو فى حماية الإسلام . فى كل نواحى العلوم وفروعها ، وأول ما بدأت فى المساجد . ثم انشئت بجانبها المدارس . مما كان له أكبر الأثر فى ازدهار العلوم والآداب » .

فكأننا نرى أن الحرية لازمة لانطلاق الفكر فى كل زمان وفى أى مكان

---

(١) مصطفى السباعى — المرجع السابق ص ٥٢ .

ولما كانت الجامعة — كما قال جاسيت بحق — هي الفكر ، فالجامعة بلا حرية لا يتوفر لها فى واقع الأمر من مقومات الجامعة الا الإسم أو أن الجامعة بلا حرية هى جامعة بلا حياة ، فكيف يمكن للجامعة فى هذه الحالة أن تقوم برسالتها سواء تجاه المعرفة والعلم ، أو المجتمع وأعضائه ، إن الحرية من ألزم الأشياء للجامعة فى أداء وظائفها وتحقيق أغراضها والوفاء برسالتها :

الجامعة أساتذة (١)

تدلنا دوائر المعارف المختلفة على أن نشأة كلمة الجامعة University هى من الأصل اللاتينى Universitas حيث كان يقصد بها مجموعة من الأساتذة والعلماء تجمعوا سوياً بغرض التعليم والدرس والإضافة إلى المعرفة ثم أصبح لهذه المجموعة الشخصية الإعتبارية . لذا لم يكن من المستغرب أن يكون فى تعريف الجامعة لدى الكثير ممن قاموا بذلك — كما أسلفنا — أنها مجموعة من الأساتذة والعلماء أجتمعوا للمحافظة على ونقل وتقدم المعرفة .

والجامعة أساتذة لأن الجامعة رسالة ، فهم الذين يحققون هذه الرسالة مهما تعددت نواحيها وتشعبت طرقها ، والجامعة أساتذة لأن الجامعة هى المعرفة ، إذ هم الذين يقومون برعاية المعرفة والمحافظة عليها ونقلها والإضافة إليها ، والجامعة أساتذة لأن الجامعة هى العلم ، فهم رجالها ورجاله ، أساتذتها وعلماؤه يقومون بالبحث فيه وإلقاء الضوء على خوافيه والاستزادة من حقائقه وبرهنة قوانينه ، والجامعة أساتذة ، لأن الجامعة هى البصيرة ، فهم بالتبصر يوصفون وإلى أولى الألباب ينتسبون وفيما يحيط بهم يفكرون ومن يحيطون بهم يتدبرون وما يصادفهم يمحصون والعقل فيما يعن لهم يحكمون ، وبالفكر يعملون فيما يشاهدون ، وبالتجربة والمنطق يهتدون .

والجامعة طليعة لأن الريادة فى أساتذتها طبيعة والتضحية ليست دخيلة .

---

(١) تستعمل كلمة الاستاذ هنا بمعناها الحقيقى ، أى بمعنى أن الأستاذ فى الجامعة من يكون عمله الرئيسى المحافظة على المعرفة ونقلها والاضافة إليها مهما كان لقبه الوظيفى . وهذا المعنى هو المقصود دائما فى هذا المؤلف ما لم ينص على غير ذلك .

والجامعة وحدة طالما حافظت على وحدتها وهى الأستاذ ، والجامعة شخصية طالما كانت شخصية أستاذها نامية ومصانة والجامعة حرية ما دامت حرية الأستاذ مكفولة وممارسة .

والجامعة هى الضوء الساطع والنور الهادى ، لأن كل أستاذ فيها بمثابة الشعاع فاذا ما اكتملت هذه الأشعة فى طيف مستمر وتجمع شامل للأساتذة فى معرفة سابغة وكيان مترابط وعلم متصل أصبح هؤلاء الأساتذة هذا السراج المنير وذاك النور الهادى أما إذا حجب شعاع أوغاب فضل أستاذ أو تأثر أو تأخر عن رغبة — إذا جاز أن يحدث ذلك أبداً — أو عن رهبة ، من داخل الجامعة أو من خارجها لكان النور غير مكتمل ولأصبح الضوء غير ساطع ولتغيرت الجامعة موضوعاً ولتأثرت الجامعة رسالة ، ولنقصت معرفة ، ولتأخرت علما ولغابت عنها البصيرة وضاع منها الفكر ، وانزاحت عن عن الطليعة وتأخرت عن الريادة .

لذا كان من الطبيعى ومن المنطقى أن تكتب لجنة روبنز (١) Robbin's Committee التى شكلت فى بريطانيا لبحث أمور التعليم العالى أن ظروف عمل الأساتذة فى الجامعات ذات أهمية كبيرة .

وكان أول ما عالجتـه من هذه الظروف مهايا الأساتذة ، ذلك أن الأستاذ هو كائن انسانى عليه مطالب يجب أن يؤديها وواجبات يجب أن يراعيها مثله فى ذلك مثل أى انسان آخر إنما تزيد حقوقه بزيادة واجباته ، فإذا ألقى المجتمع على أستاذ الجامعة من المسئوليات الشىء الجسيم ، ومن

---

(1) Robbins Committee Report. Op. Cit. Chopter XII

الواجبات العديد والكثير فان التقدير له يجب أن يكون بقدر هذه المسئوليات ، ومكافئاً لتلك الواجبات ومادياً مثلما هو معنوى .

وقد أوصت اللجنة أن تكون مهايا الأساتذة بحيث يمكن أن تجذب الأناس القادرين إلى هذا العمل النبيل . ويتفق معها فى ذلك بحث أجرى فى فرنسا (١) . كذلك أوصت اللجنة ألا يكون هناك تفرقة بين ما يعود على الأساتذة من مهايا وخلافه من مختلف الدخول من وظائفهم — طالما أن هذه الجامعات المختلفة تحصل على المال العام (أموال الدولة) .

كذلك اتفق البحثان — الإنجليزى والفرنسى — على أن تحسين احتمالات الترقى وسرعته إلى الوظائف ذات المسئولية من العوامل الهامة التى تساعد على تهيئة الظروف المناسبة لأساتذة الجامعة . فأوصت لجنة االورد روبنز بأن يتعدد الأساتذة (هنا بالمعنى الوظيفى) pr.fes:ors فى كل قسم حتى تتحسن فرص الترقى واعتبرت أن لذلك فوائد عديدة بالنسبة للبحث والتدريس قائلة أنه أصبح من « الموضة القديمة outmcded » وجود أستاذ (بالمعنى الوظيفى) واحد فى القسم .

كذلك نصت توصيات اللجنة على أنه من الأهمية وجود تسهيلات جيدة وظروف مناسبة physical resources ومال كاف للبحوث ، ومساعدات فنية ومن السكرتارية .

واتفق البحثان كذلك على الإشادة بنظام المهمات العلمية sabbatical leaves المعمول به فى الجامعات الأمريكية وعلى ضرورة منح تسهيلات عديدة لهذه

(1) Dupont, George, Op. Cit.

المهمات العلمية على فترات منتظمة generous allowances at regular intervals

وفى الواقع فإن المهمة العلمية ليست حق للأستاذ قبل الجامعة ولكنها أيضاً واجب عليه وحق لها ، لأن الفائدة التى تعود على الأستاذ ثقافية وعلمية ومهنية وفنية من هذه المهمة إنما تنعكس على الكفاءة التى يؤدى بها عمله فى الجامعة .

وذكر البحث الفرنسى أن العلماء يتنفسون هواء العالم عن طريق الارتحال وحضور المؤتمرات . وينبع هذا الرأى من أنه فى المؤتمرات الدولية تلقى آخر البحوث ، وتعرف أرقى الأفكار ويتقابل الأساتذة والعلماء للتشاور وتبادل الرأى بما يعود بالفائدة على كل فى بحثه ومحاضرته ، فى كتابه ومقالته ، وكل ذلك مآله شحذ للفكر وإضافة للمعرفة وزيادة فى العلم وازالة لغشاوة البصيرة ، ثم إلى التطبيق بجد الطريق .

كذلك اتفق البحثان على أن ضمان مستقبل الأساتذة والبحاث ومستقبل عائلاتهم أمر ضرورى لحسن الخدمة وأداء الواجبات ، وأوصت لجنة روبنز أنه يجب أن يكون هناك ترتيبات لمعاشات

وتعيد لجنة روبنز القول بأن قيمة أى معهد تتوقف على الذين يعملون به وأن مستقبل نظام التعليم العالى يتوقف على مقدرة هذا التعليم فى أن يجذب رجالا ونساءاً ذوى قدرة بأعداد كافية لخدمته وأن يحتفظ بهم فى ظروف تسمح لهم أن يستعملوا قدراتهم بالتمام .

وتذكرنا توصية لجنة روبنز هذه بالقول المأثور : أن فخر الجامعة لا يرجع إلى كبر مساحتها أو ضخامة مبانيها أو كثرة أجهزتها ... بل إلى قيمة أساتذتها .

ولا يمكن أن ترتفع قيمة الأستاذ إلا إذا تهيأت له الظروف المناسبة ، ليس فقط من حيث الأجهزة والأدوات والمعدات والمساعدين والمال اللازم للأبحاث . وأيضاً وسائل التدريس المختلفة وطلبة استوعبوا دروسهم واقبلوا على دراستهم ، بل أيضاً الاستقلال والحرية لأنهما الأساس الدافع إلى الإبتكار الذى يجب أن يتصف به الأستاذ الجامعى ويرعى ويشجع فيه وكذلك الاطمئنان على نفسه وعائلته فى الحاضر وفى المستقبل وبذا يمكنه أن يعمل مطمئناً مرتاح البال فيعطى تدريسه وبحثه كل نفسه ، ويركز عليهما عقله وفكره ، وكلا العملين يقوم على الفكر المستمر والتركيز العميق .

ولذلك نرى أن الجمعيـة الأمريكية لأساتذة الجامعات تذكر فى اعلانها(١) أنه لكى يقوم الأساتذة بوظيفتهم فإنهم يجب أن يكونوا أحراراً فى أن يصلوا إلى نتائج عن المعرفة لا تتأثر بعـوامل لا يكون لها علاقة بصحة هذه المعرفة ومن الأهمية القصـوى للمجتمع أن تكون هذه النتائج — التى تحصل عليها رجال تمرنوا وأوقفوا أنفسهم على تتبع الحقيقة — هى نتائجهم الخاصة وليست صدى للأفكار العامة أو لأشخاص يعطون endow أو يديرون manage الجامعات . فأكبر مسئولية للأستاذ هى للمجتمع وليس للمجلس الذى يدير الجامعة ، فالأستاذ يجب ألا يكون مسئولا لهذا المجلس أكثر مما يكون القضاة الاتحاديون مسئولين أمام الرئيس (رئيس الجمهورية هو الذى يعين القضاة الاتحاديين federal judges فى الولايات المتحدة ولكن لا مسئولية لهم أمامه ولا سلطان له عليهم) فالمجلس

(1) Brubacker and Rudy, Op. Cit. p. 309.

مثل الرئيس قد يعين appoints ولكنه لا يستخدم employ .

وتناقش لجنة روبنز(١) مشكلة التوازن بين الوظيفتين الرئيسيتين للجامعة وأساتذتها : التدريس والبحث teaching and research مبتدئة بأنها تستعمل كلمة البحث على أنها تشمل المدى العام للنشاط الفكرى intellectual activities الذى يخدم فى زيادة قوى الإنسان فى فهم وتقييم وتعديل عالمه وخبرته . وترفض اللجنة أى رأى يدعو إلى إزالة البحث من الجامعة وتركيزه فى معاهد أبحاث ذاكرة أن روح التعليم العالى هى تقديم الطلبة لعالم من المسئولية الفكرية intellectual responsibility والإكتشاف والفكرى intellectual discovery حيث يستطيعون أن يلعبوا دورهم .... والأهم أن يوحى inspire إليهم أن يتعلموا to learn وأن يعملوا to work ... كما أنه من الأهمية القصوى أن الأكثر قدرة والذين يستطيعون أن يتقدموا للقيام بأعمال مبتكرة يجب أن تصيبهم — عند مبدأ دخولهم التعليم العالى — عدوى الإحساس بامكانياتهم فى هذه الدراسات .

ويذكر التقرير أن الطالب يحتاج إلى أن يشعر من مبدأ الأمر بمدى موضوع دراسته وأن يدرك realize بأنه لا يعطى كتلة من المعـلومات mass of in formation ولكنه يقدم لعالم من التساؤل الحر initiated into a realm of free enquiry ويقول التقرير أن هناك منفعة متبادلة للأشخاص الذين يقومون بالأبحاث من كونهم أعضاء فى معهد حيث التعلم (الحصول على المعرفة) لا يتقدم learning davanced فقط بل ينقل أيضاً communicated فالاتصال

(1) Robbins Committee Report, Op. Cit. Chepter XIII.

بالعقول الصغيرة الحية ذات القدرة able and lively young minds ووضع مشغوليات الأستـــاذ فى رابطة أوسع preoccupations in a wider context الشيء الذى يتطلبه تحضـــير المحاضرات له فائدة ايجابية كما أنه مصدر لاعادة القوة والروح والحياة refreshment أو كما ذكر فى مكان آخر (١) فإن من يتعلم من شخص يشتغل بالحصول على المعرفة ، يشرب من ماء جار ، أما من يتعلم من شخص تعلم كل ما يدرسه فانه يشرب من « الغطاء الأخضر للبركة الراكدة » the green mantle of the stagnant pool.

... كما رأت اللجنة أنه لا يوجد حد فاصل بين التعلم والبحث قائلة أنهما نشاط متكامل ومتداخل complementary and overlapping activities فالأستاذ الذى يزيد من معرفته العامة لموضوعه يعمل فى نفس الوقت على تحسين نفسه كأستاذ ويرسى الأسس لأبحاثه . والباحث كثيراً ما يجد أن عمله يمنحـــه توضيحاً جديداً ومناسباً fresh and apt illustration يساعده فى وضع موضوعه فى ضوء جديد عندما يتجـــه إلى تحضير محاضرة وتستطرد اللجنة فتقول أن العمل المبتكر أساسياً شخصى ورغماً عن أنه يجب أن يتبنى ويشجع فإنه يجب ألا يجبر forced أو يفرض imposed كواجب على جميع الأساتذة . فالأشخاص يختلفون فى رغبتهم desire وقدرتهم capacity على تناول undertake العمل المبتكر . وفوق ذلك فإن فترات حياتهم التى يحتاجون فيها بشدة إلى متابعة تساؤلهم الخاص قد تختلف باختلاف

---

(1) Bruce Truscot, Red Brick University, Pelican Book 1951 p. 154.

أمزجتهم temperaments وحقول دراساتهم .

وتضيف اللجنة قائلة ، أنه فوق ذلك فإن هناك أشخاصاً عديدين ذوى قدرات من الدرجة الأولى ، خاصة فى العلوم الانسانية humanities لم يقوموا بالبحث بمعناه الضيق ولم يشعروا بالدافع للنشر ، ولكن اتساع ثقافتهم ، ونضج حكمهم واتساع مدى حب استطلاعهم الفكرى intellectual curiosity كل هذا ذو قيمة لا تقدر priceless assets فى القسم أو الكلية ... ومثل جميع المجتمعات فالجامعة تحتاج إلى مواهب (قدرات) متعددة وأى فكرة notion عن أن هناك تقسيم مثالى بين التدريس ، والبحث ، والعمل المبتكر والإدارة administration يجب على الأستاذ الجامعى أن يحاول خلال حياته الأكاديمية أن يتشكل conform بها ، هى فكرة أجنبية alien تماماً عن الفكرة الخاصة proper concept بالجامعة .

وتضيف اللجنة إلى توصياتها قائلة أن هذه القدرات المختلفة يجب أن تراعى فى التعيين وفى الترقية . ثم تذكر اللجنة أن تركيز الاهتمام على النشر يؤدى إلى النشر قبل النضج premature publication وكذلك نشر متضخم inflated publications حيث الموضوعات التى قد تأخذ مقالات تضخم إلى كتب .

ومن ذلك يتضح أن البحث والتدريس متلازمان فى الجامعة وكأنهما القدمان اللذان تخطو بهما الجامعة إلى الأمام إذا تساوا فى كفاءتهما وقوتهما ومقدار تقدمهما كان السير معتدلا ، وكان التقدم حثيثاً ، فإذا غاب أحدهما أو تباطأ اختل توازن الجامعة ، وعرج تقدمها وتعطل نموها ، وتأثرت

وظائفها جميعاً ، فنرى أنه إذا تعطل البحث تأخر التدريس وإذا لم يكن التدريس بالكفاءة المطلوبة انعكس ذلك على البحث أيضاً . ذلك أنه إذا كان التدريس يستمد من العلم والمعرفة لينشرهما فان البحث يستمد منهما ليضيف إليهما ، وأن أحد الذين تلقوا هذه المعرفة وهذا العلم عن طريق التدريس بطرقه المختلفة — هو الذى سيقوم بالاضافة إليهما ببحثه ودرسه ، فوجب أن يكون اعداده كاملا ليكون بحثه متقناً كما أن الشخص الذى يقوم بالبحث هو أدرى الناس بقيمة المعرفة وطبيعة عملية الإضافة إليها مما يجعله على نشرها حريص ودؤوب .

لذا فان أستاذ الجامعة يقوم بالتدريس وبالبحث ويولى كلا منهما اهتمامه ، ويؤدى كلا منهما بكفاءة ، لا يسمح لأحدهما أن يطغى على الآخر بل يوازن بينهما بحيث يسيران جنباً إلى جنب وبحيث لا يتأثر وجها وظيفتيه الأساسيتين : نشر المعرفة والإضافة إليها . أما إذا اختل التوازن بين هذين النشاطين فان هذا الإختلال ينعكس ليس فقط على الأستاذ بل أيضاً على المعرفة وعلى الجامعة وعلى خريجيها، وكثيراً ما يكون منشأ هذا الاختلال من المجتمع أو من الجامعة ، كأن يزيد عبء التدريس على الأستاذ فيقل الوقت الذى يمكنه أن يعطيه للبحث ، أو تزداد الأهمية التى تعلق على الأبحاث فيقل الاهتمام بالتدريس . والواجب أن يكون هناك توازناً بين الدرس والتدريس، بين نشر المعرفة والإضافة اليها، وما دام عبء التدريس فى حدود المعقول فإن أحسن حكم على هذا التوازن هو الأستاذ الجامعى نفسه ، وذلك ما دام كل من التدريس والبحث يلقى نفس الاهتمام وينال ذات الجزاء .

ولقد كرم الإسلام العلماء بأن ذكرهم الله سبحانه وتعالى وأشاد بهم فى أكثر من موضع فقال جل شأنه وتعالت قدرته وصدق قوله :

« شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم »(١)

وقال تعالى : « يرفع الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »(٢) .

ويورد الدكتور مصطفى السباعى(٣) حديثاً عن النبى صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الأنبياء » ويردف قائلا : ومن المعلوم أن الأنبياء هم الذروة العليا فى الكمال الانسانى ، فهل هنالك أكثر تشريفاً للعلماء من أن يكونوا ورثتهم ؟ » .

ويورد حديثاً آخر أيضاً عنه صلى الله عليه وسلم : « يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة » . ويضيف « ومن المعلوم أن دم الشهيد الذى يراق فى سبيل الله هو أغلى دم يراق من بنى الانسان . فإذا كان المداد الذى ينفقه العالم فى تأليف الكتب لنفع الناس يعادل دم شهيد . بل يرجح عليه فى بعض الروايات . كان ذلك إشادة كبرى بفضل العلماء » .

كما أن الرواة يروون حديثاً آخر عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إنما بعثت معلماً ، فمن أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم » .

فهل هناك تكريم للمعلم فى الجامعة وفى غيرها من أن يصف النبى بعثته بأنه بعث معلماً . وهل هناك وصية أقيم أو أرجح من وصيته صلى الله عليه وسلم من نأخذ بالعلم لكى نحقق النجاح فى الأولى ، ونجازى الجزاء الحسن فى الآخرة .

---

(١) ٣ آل عمران ١٨ (٢) ٥٨ المجادلة ١١

(٣) الدكتور مصطفى السباعى المرجع السابق ص ٦١ — ٦٢

الجامعة نشر للمعرفة وإضافة اليها

أولا : الجامعة والطالب والمجتمع :

إذا كانت الجامعة فى استمرارها على مر الأزمنة ومختلف العصور — فى الماضى والحاضر والمستقبل أساتذة فالطلبة فى الجامعة هم عدتها للمستقبل لأن الطالب النابه فيها اليوم هو الأستاذ بها فى الغد . كذلك فالطلبة هم مهنيو المستقبل الجيدون الذين تقع على الجامعة — كما سبق ذكره — تبعة إعدادهم، وفى نفس الوقت فالطلبة للجامعة أحد الطرق التى تساعدها على تحقيق بعض أغراضها فى نقل المعرفة ونشرها والمحافظة عليها .

والطلبة هم قادة المجتمع فى غده وهم رواده فى مستقبله ، والطلبة هم المواطنون الصالحون فى مستقبل أى بلد .

وتقع على الجامعة مسئولية إعداد هؤلاء الرجال والنساء للقيام بهذه الوظائف جميعاً من بين من ينخرطون فى سلك طلبتها ومن يطلبون العلم والمعرفة على أساتذتها .

والجامعة إذ تقوم بأداء هذه الوظائف جميعاً تشكل هؤلاء الطلبة بشكلها ، وتصبغهم بصبغتها وتضفى عليهم من سماتها ، وتعطيهم من صفاتها ، وتشخصهم بخصائصها ، وتميزهم بميزاتها .

والمواطن الصالح من صفاته إن تشتمل ثقافته على الأفكار التى يعيش بها عصره ، يعمل الفكر فى كل ما يعن له ، حصل من المهارة على ما يفيد به مجتمعه و يسد نقصاً فيه ، ومن المعرفة ما يجعله متصفاً بسعة الأفق ،

ومن العلم ما يهديه إلى فهم الأمور ، ومن الحلم ما ينعته باتساع الصدر ، ومن البصيرة ، ما يكسبه بعد النظر ، ومن الشخصية ما يبرزه بين انداده واخوانه ، ومن الحرية ما يجعله لها ممارسا ولحرية غيره حفيظاً، ومن الفردية ما يجعله على نفسه راعياً ومع أترابه وزملائه متعاوناً ومتجاوباً ومن الاستقلال ما يفرض عليه احترام استقلاله الذاتى واستقلال الآخرين واستقلال مجتمعاته على اختلاف مستوياتها . عائلته وعشيرته إلى عمله ووطنه ، ومن الشعور بالواجب وتحمل المسئولية ما يجعله يقدم حق غيره على حق نفسه وحق مجتمعه ووطنه على حقوق عشيرته وأهله ، ومن الحصافة والشجاعة ما يجعله أهلا لاتخاذ القرارات وتحمل المسئوليات ، ومن النزاهة ما يملى عليه الموضوعية والتجرد ، وهو متمرن على معرفة الخطأ من الصواب ، ذو ضمير يقوده إلى الفضيلة ويبعده عن الرذيلة .

تلك هى مواصفات للمواطن الصالح وجب على الجامعة أن تجعل من امكانياتها ووسائلها ، من تراثها وثقافتها من مغرفتها وعلمها ، من بصيرتها وفكرها ، من أساتذتها ومعاملها ، من مكتبتها ومتاحفها ، طريقاً للطالب يسلكه حتى يكتسب هذه الصفات ، وطريقة يتبعها حتى تصبح معه هذه الصفات وكأنه اكتسبها بميلاده ، تصدر عنه ذاتياً ، ويقوم بها تلقائياً .

وإذا كان نقل التراث وظيفة للجامعة تجاه المعرفة ، فهو أمانة فى عنقها قبل الطالب ، وإذا كان ذلك غرض من أغراض الجامعة للمعرفة ، فهو واجب عليها للمجتمع ، وإذا كانت تلك رسالتها للمعرفة ، فهى مسئولية عليها للوطن خاصة وللعالم عامة .

ومن التراث ما قد يكون بحساب الزمان قديماً. كان يكون نثراً كتب أو شعراً نظم ، أو حفراً حفر ، أو علماً اكتشف ، أو لوحة زيتية أو مائية رسمت ، أو موسيقى بارعة كتبت ثم لعبت على مر السنين والقرون ، أو أغنية شدى بها جيل بعد جيل ، وتمتعت بسماعها شعوب ، أو إختراعا أخترع فغير مجرى الزمان وخدم الإنسان ، أو آثاراً تحدت عوامل التغيير والتعرية آلافاً من السنين ، وأظهرت مدى براعة بنى الإنسان فى قديم الزمان ، أو جهاداً فى سبيل حقوق الإنسان ، أو مجهوداً عمل على الرفع من شأنه ، والأخذ بيده أو عملا أرسى قواعد مجتمعه ونظم علاقات أفراده ، أو طرقاً عملت على إنتشار المعرفة ، أو المحافظة عليها أو الإضافة إليها ، وعموماً عمل فعل أو خلق فى قديم الزمان ولكنه جديد فى كل عصر ، ومعاصر فى كل زمان ، متجدد فى كل وقت ومستمتع به على مر الأيام ، ومفيد فى كل وقت وزمان ، ينفح كل نفس الصفاء والعلو الذاتى ، ويمنح كل عقل من روح الخلق والإبتكار ما هو أهل له ، وينفخ فى كل فؤاد الحب والمودة .

هذه هى الأعمال العالمية التى تجتاز بامتيازها وبخواصها حدود الأوطان وحساب الأزمان ، وذلك لأنها للجنس الإنسانى خادمة ، وعلى رفعته عاملة ، ولرفاهيته محققة ، ولسعادته متممة . ومن هذا النوع الحضارات المختلفة ونشأتها ، والمدنيات المتعددة وتطورها . والفنون ومبتكراتها ، والعلوم والتكنولوجيا وتاريخها ، وحقوق الإنسان وكيفيـــة اكتسابها ومجتمعاته وأسسها ، وتاريخ الشعوب وعلاقاتها ، والأديان وأركانها وفقهها ، وعموماً المعرفة الإنسانية السابغة .

وهذا النوع من التراث تقوم الجامعة بالمحافظة عليه ، ونقله ونشره وتزداد قيمة الجامعة ويعلو قدرها بمقدار ما يؤدي تحقيقها لرسالتها من إضافة إلى هذه المعرفة الإنسانية السابغة ، ومهمة الطالب ووظيفة الجامعة أن يكون بهذا التراث على علم ، وواجب المواطن أن يكون بهذه المعرفة محيط ، ومسئولية الكائن الإنساني أن يكون بكل هذا يهتد في تفكيره واضعاً له كنبراس فى حكمه على الأمور ، ومتخذاً له مقياساً في تصرفاته وحكماً لضميره ، ووحياً لفؤاده ، وغذاءا لعقله ، ونوراً لبصيرته . يستوي فى ذلك المدرس والمهندس ، التاجر والمحامي ، المؤرخ والجيولوجى ، الطبيب والإجتماعى ، الموظف وصاحب العمل ، المدير والوزير ، الرئيس والمرءوس ، الكبير والصغير ، الزارع والصانع ، المخطط والمنفذ ، المحقق والقاضي ، الكيماوى والإقتصادى ، البيطري والصيدلي ، وباختصار كل مهني طالما كان إلى الكائن الانسانى منتسباً ، وكل بشرى طالما كان للمجتمع خادماً .

ولما كانت الجامعة هي المعهد الذى يؤهل كل هؤلاء وكل من هؤلاء لتأدية وظيفته والقيام بواجبه وحمل مسئوليته ، فان هؤلاء جميعاً يشتركون فى النهل من بحر هذه المعرفة ، والإغتراف من عيون هذا التراث ، خلال دراستهم الجامعية . والجامعة — أى جامعة وكل جامعة — فى هذا الأمر متشابهة ، وعلى هذا النهج سائرة ، وبهذا المنوال آخذة .

والجامعة تستقر على الحد الأدنى الذى تراه لازماً لكل كائن بشرى حتى يجعل منه انساناً ولكل مواطن حتى يجعله صالحاً ثم تنقله بوسائلها

المختلفة وبامكانياتها المتعددة وبطرقها الكثيرة إلى طلبتها جميعاً مهما اختلفت مواضيع دراساتهم أو تنافرت اتجاهاتهم أو تباينت مشاربهم ، أو تعددت مقاصدهم ، أو تهيأت مواهبهم ذلك أنهم جميعاً كما سبق أن بينا يشتركون فى أنهم أعضاء فى هذا المجتمع الانسانى ، منه يستمدون حياتهم وبه يخصون خدماتهم ، منه تنبع حقوقهم ، وإليه ترجع واجباتهم منه يأخذون عيشهم ومعيشتهم وإليه تعود مسئوليتهم ، منه يكتسبون الأمن والطمأنينة وله يدينون بالولاء والاخلاص .

والجامعة تتخذ مكان الصدارة فى البيئة التى تضمها ، وتكون لها الطليعة فى الوطن الذى يظلها ، والريادة فى المجتمع الذى يرعاها لأنها على التراث القومى حافظة ، وله ناشره ومنه إلى طلبتها ناقلة ، وسواء كان هذا التراث ثقافة علمية أو أدباً لغوياً أو فناً جميلا ، سـواء كان تسجيلا لاكتشافات علمية : رياضية ، أو طبيعية ، أو بيولوجية أو اجتماعية ، أو اعترافاً بعظمة تكنولوجية أو هندسية ، أو كان نثراً ذاع صيته وأثر فى زمانه وتوارثه جيل بعد جيل ، أو شعراً يطنب الآذان ، ويرهف الحس وتتناقله الألسنة وتتوارثه الأجيال ، أو فنا معمارياً يدل على تقدم علمى أو هندسى أو ذوق جميل ، أو رسومات رائعة تنقل الشخص إلى مادبجته ريشة الفنان وكأنه كان معه ومن خلال عينيه كأنه يرى ، أو كان حفراً جميلا ، متقناً وبديعاً ، على خشب أو على حجر أو على نحاس أو غيرها ، أو كانت موسيقى للحس مرهفة وللنفس مهذبة ، أو كانت دراسات انسانية أو اجتماعية رفعت من شأن الانسان وانارت له الطريق ، الجامعة على كل هذا التراث

القومى ، وعلى هذه الحضارة الوطنية ، وعلى هذه المدنية محافظة ، ولها راعية وعلى نشرها والإضافة إليها عاملة. فنجد الجامعة تنشرها بالدراسة والتدريس لطالبيها ، وتنشرها بالتأليف وبالمحاضرة العامة ، وتنشرها بعرض هذه الأعمال الفنية الجميلة ، وبلعب وبتشجيع لعب هذا التراث الموسيقى الرائع .

فذلك كله ثروة قومية يؤدى الاهتمام بها والمحافظة عليها إلى إذكاء الروح الوطنية والإرتفاع بالشعور القومى ، حتى يصبح الاخلاص للمجتمع والولاء للوطن صنوان لا يفترقان بل هما إلى التفانى فى خدمته مؤديان ، وإلى العمل على رفعته مرغبان .

والجامعة كما تهتم بالتراث القومى والحضارة الوطنية تلتفت إلى المشاكل المعاصرة تعمل على حلها بالبحث والدراسة وعلى تثقيف الطلبة والمجتمع فيها بالتدريس والمحاضرة ، وعلى التعريف بوجهه النظر القومية فى المجال العالمى بالكتابة والنشر وبغيرها من الوسائل . والطلبة فى كل ذلك غاية ووسيلة ، غاية فى نشر هذا التراث القومى إليهم ووسيلة فى نقله والتعريف به إلى غيرهم .

وعلى الأساس الثقافى ، والعقلى ، والفنى الذى تحصل عليه الطالب ، العام منه والقومى ، العالمى منه والوطنى ، على هذا الجزء من المعرفة الانسانية السابغة يكون من حق الطالب قبل الجامعة ومن واجب الجامعة قبل الطالب والمجتمع أن تهيىء له من الدراسات ما يجعله مجيداً لمهنة ، ماهراً فيما اعتزم أن يسلكه طريقاً شريفاً لكسب عيشه وخدمة مجتمعه ومن هنا تنشأ الموضوعات الدراسية المختلفة فى الجامعة والتخصصات العديدة التى يمكن أن تضمها بين رحابها ، وأى موضوع يتصف فى محتوياته بالصفات (. .

التى تشخص الجامعة ، ويتميز فى محتوياته بميزاتها ، ويرتفع فى دراساته إلى رسالتها ويعاونها على تحقيق أغراضها ، ويساعدها على أداء وظيفتها — أى موضوع يتصف بهذه الصفات وتنطبق عليه هذه المواصفات هو موضوع يصلح للدراسة فى الجامعة وأهل أن يتخصص فيه الطالب بها .

والطالب إذا حدد بنفسه موضوع دراسته عوضاً عن أن يساق إليها سوقاً ، وفى ظل نظام يساوى بين جميع أنواع الدراسات ، ويعدل بين جميع أنواع التخصصات ، لأنها جميعاً تخدم المجتمع بنفس القدر ، ويحتاجها أعضاؤه بنفس المقياس ، لا فرق بين آداب وعلوم ، بين فنون وتطبيب ، بين اجتماع وقانون ، بين هندسة وتجارة ، بين زراعة وصناعة لا فرق بينها جميعاً كما أنه لا فرق بين عربى وأعجمى ولا بين أبيض وأسود إلا بالتفوق فى الأداء ، وبالتفــانى فى العمل ، هذا الطالب يكون فى اختياره إلى تحقيق ميوله أصوب ، وإلى الاستفادة بمواهبه أقرب ، ومن ثم إلى التفوق فى دراسته أميل ، وإلى الامتياز فى عمله بعد تخرجه أجدر ، كذلك فإن هذا الاختيار يكون تمريناً له على إتخاذ القرارات وتحمل المسئوليات

ولاتقف مسئولية الطالب ولافرصته فى التمرن على اتخاذ القرارات وتحمل المسئوليات بمجرد اختيار موضوع تخصصه بل إن ذلك ربما عين له فقط عدداً من المواد ترى الجامعة — ويحددها أساتذتها فى التخصصات المختلفة — أن الشخص الذى يريد أن يتخصص فى موضوع معين وجب عليه أن يدرس هذه المواد بنجاح ، ولكن الجامعة تتطلب من طالبها — ويعاونه أساتذتها — اختيار مواد أخرى يدرسها أيضاً بنجاح وتكون

لموضوع دراسته لازمة أو مؤيدة ، أو لشخصيته مقوية ، أو لمهـارته مزكية ، أو لمواهبه منمية ، أو لشخصه مميزة ، وعموماً تساعد هذه المواد الاختيارية على أن تجعل من الطالب مهنياً ماهراً ومواطناً صالحاً ، وهو بهذا الاختيار يقابل فى كل فترة دراسية بمسئولية تحديد هذه المواد فى حرية ، فتزداد فرص تحمله للمسئولية وممارسته للحرية وما من صائن للحرية إلا من مارسها ، وما من مدافع عنها إلا من ذاق حلاوة طعمها ، وأحس بميزاتها ، وما من محترم لها إلا من اتصف بها وما من مبجل لها إلا من تمرس فيها وتعود عليها .

فالجامعة بتركها حرية تحديد موضوع الدراسـة وحـرية اختيار بعض المواد الدراسية للطالب تعمل على تكوين الفرد الحر الذى هو أساس المجتمع الحر ، تعمل على تكوين المواطن المستقل الذى هو وحدة الوطن المستقل ، فلا يكفى أن يتكون أفراد المجتمع من مهنيين مهرة ، ومن مثقفين متسعى الأفق ، ومن مفكرين أولى الباب ، بل يجب أن يكونوا على حرية المجتمع محافظين ، وعلى استقلال الوطن غيورين .

وتتميز الجامعة فى كل هذا النظام القائم على الاختيار ، كما تضفى وحدة الجامعة على الدراسة بها مرونة بالنسبة لموضوعات الدراسة وبالنسبة للطالب. فالطالب يستطيع أن ينتقل من تخصص إلى آخر دون أن يفقد من المواد التى درسها كثيراً ، ودون أن يضيع عليه من الزمن الذى قضاه فى الدراسة الا القليل ، ذلك أنه لا شك أن بعض المواد التى يكون قد درسها فى فرع

تخصصه القديم تكون جزءاً من متطلبات دراسته فيما هو مقبل عليه من تخصص، علاوة على أن البعض الآخر يمكن أن يدخل ضمن ما يحدده هو من المواد الاختيارية .

والاختيار وسيلة من الوسائل يمكن أن تعمل على تحقيق رغبات الطالب وفى نفس الوقت تمييزه فى ناحية معينـــة ، فالذى يريد أن يقوم بوظيفة التدريس على أحد المستويات يمكن أن يختار من المواد الدراسية ما يساعده على تدريس مواد تخصصه لتلامذته فى المستوى الذى يرغب أن يقوم بالخدمة فيه أو يشعر بالقدرة على الامتياز فى ادائه ، والذى يرغب فى الاتجاه للنواحى الادارية يمكن أن يطعم دراسته لأصول مهنته بدراسة بعض مستلزمات ادارتها ، والذى يريد أن يخدم فى الصحافة العلمية يمكن أن يتعلم ما ينفعه فى هذه المهنة النبيلة جامعا بين تعلم العلوم والدراسة الصحفية ، والذى يرى فى نفسه الرغبة والقدرة على القيام بالبحوث فى الصناعة أو معامل البحوث يمكن أن يعد نفسه لهذا الاتجاه ، والذى يشعر فى نفسه ميلا إلى الجمع بين البحث والدرس بين التعليم والتدريس — ويعهد فيه أساتذته القدرة على ذلك، يمكن أيضاً أن يعد نفسه لهذا المستقبل . وهكذا فالاختيار والمرونة فى الجامعة عون ، للطالب على الاستفادة من مواهبه ، وللجامعة على تحقيق أغراضها ، وللمجتمع على استيفاء احتياجاته وتحقيق مسئولياته .

إذ لا يعود النفع على الطالب فقط ، بل تعود المنفعة على الدراسة ايضاً فإن هذه المرونة تجعل من السهولة تغيير البرامج او الإضافة إليها أو الحذف منها بما يساير تطورات العلم واحتياجات المجتمع ، ليس فقط فى الدراسات

والتخصصات الموجودة فى وقت معين بل فيما يمكن أن يستجد منها أيضاً، مما يجعل الجامعة لروح العصر مسايرة ، ولرغبات المجتمع ملبية ، ولاحتياجات البيئة التى تخدمها محققة ، بل إن هذا النظام وهذه المرونة هى من خصائص الجامعة لكى تكون فى الطليعة ، ومن مستلزماتها لكى تؤدى وظيفتها فى الريادة .

والإختيار والمرونة لا تقتصر فوائدها ، ولا تنحصر ميزاتها فى الدراسة للدرجة الجامعية الأولى فقط ، بل نراها ألزم وأقيم فى الدراسات العالية أيضاً ، لذا نجد أن ما اصطلح على معرفته باسم كلية الدراسات العليا Graduate school هو امتداد طبيعى لموضوعات الدراسة الجامعية المختلفة فى مستوى أعلى وتخصص أضيق ، يسمح بتعمق أكثر ، وبمعرفة أدق ، وعلم أغزر ، لذا فإن الطلبة المنخرطين فى هذه الدراسة يقومون بالدرس فى نفس الأقسام ، بل قد يتلقون بعض المحاضرات مع طلبة دراسة الدرجة الجامعية الأولى ، ولكن ما يجب أن يؤدوه فى نفس المادة يكون أكثر وما يجب أن يستوعبوه يجب أن يكون فى نفس الوقت أغزر وأدق ، كما أن الطالب لا يدرس فى فرع واحد ولكن معظم دراسته تكون فى موضوع تخصصه مع دراسة بعض مواد أخرى فى موضوعات تفيد هذا التخصص وتنير الطريق للطالب فى أبحاثه ، وتلقى الضوء على دراسته ورسالته ، ولذا نرى أن هذا الطالب يقوم ببحثه فى نفس القسم الذى يدرس فيه لأن هذا هو الوضع الطبيعى ولأن هذا له من الفوائد ما سبق ذكره فى الجمع بين التعليم والعلم وبين التدريس والبحث فى الجامعة

[ووظيفة كلية الدراسات العليا — المحافظة على مستوى الدراسة بحيث يتحقق التوازن بين عمق التخصص وارتفاع شأن البحث ، بين دقة المعرفة واتساعها ، بين غزارة العلم وامتيازه ، وكذلك المحافظة على مستوى الرسائل وتوحيد شكلها ، وتنفيذ اللوائح مثل عدد الساعات التى يمكن للطالب أن يدرسها فى فترة دراسية معينة أو مثل متطلبات الدراسة ، أو تحديد ميعاد تقديم الرسالة تمهيداً لمنح الدرجة الجامعية العالية . أو اسداء النصح للطالب فى نوع دراسته أو إذا ما شاء أن يغيرها ، أو مساعدة الأستاذ على الحصول على المال لاجراء البحوث ، أو لاستخدام المساعدين ، أو لاعطاء المنح لطلبته ، وغير ذلك .

هذه هى كلية الدراسات العالية Gradnate school امتداد طبيعى للدراسة الجامعية الأدنى ، فتؤدى الدراسة للدرجة الجامعية الأولى إليها وتغذيها بطلبتها ممن أتموا دراستهم لها بامتياز ويزكى وجود هذا النوع من الدراسة روح الهمة فى طلبة الجامعة الذين يدرسون للدرجة الجامعية الأولى وتغذى نتائج البحوث فيها دراستهم أولا بأول ، وبما تثمر الجهود فيها من ثمار تضرب لهم المثل وتبين لهم قيمة البحث ولذة الكشف ، وتبين لهم أهمية العلم وفائدة المعرفة .

فالفائدة مشتركة والنفع متبادل والمزايا عامة

ولا تقتصر وظيفة الجامعة على نشر العلم والمعرفة فى محيط طلبتها الذين انتظموا فى سلك الدراسة بها ، ولا يقتصر التتلمذ فيها على من هم فى السن الذى تم التعارف عليه بأنه السن الجامعى ، بل يتعدى هذا

وذلك ، فالعلم والتعليم لا يعرفان حدوداً ، ولا يقتصران على أعمار بل هما عامان للشباب مثلما هما للمعمر ، للمنتظم مثلما هما للمنتسب . وتعليم البالغين أو ارشادهم adult education extension يقول عنه سيريل هول(١) أنه مرغوب فى الجامعة لأسباب عدة :

١ — أن نتائج البحث الحديث اظهرت أن البالغين يستطيعون التعلم فى بعض حقول المعرفة بطريقة أحسن من بعض صغار الناس ، وانه كما قال أرسططاليس فإن بعض الموضوعات لا يستطيع صغار السن دراستها بنجاح مثلما يستطيعه كبار السن .

٢ — لما كانت الجامعة تختص بالمعرفة العالية higher knowledge فإن المتخرج الذى يرجو أن يتابع حقله العام general field أو اهتمامه الخاص special interest لا يستطيع أن يجد مصدراً أفضل لمساعدته .

٣ — أن القيم التركيبية structural values والجودة qualities التى يتحصل عليها الطلبة المتفرغون تحتاج للصيانة والزيادة خلال الحياة maintenance and enrichment throughout life

٤ — كذلك فان بعض من عطلت thwarted دراساتهم أو لم يتعرفوا على احتياجاتهم إلا فى سن متأخر يمكن عن طريق الدراسة فى الجامعة معالجة هذا النقص وهذه الاحتياجات .

وقد نص قانون توجيه التعليم العالى الفرنسى (نوفمبر ١٩٦٨) على الاهتمام

---

(1) Cyril O. Houle, Introduction in, Universities in Adult Education, UNESCO 1952.

بالتعليم الدائم Education permanente .

وتحقيق هذا الغرض من أغراض الجامعة يشبع لها صفتها فى الريادة، ويحقق لها واجبها فى كونها دائماً فى الطليعة، ويساعدها على أداء وظيفتها فى المجتمع . ويمكن أن يتحقق هذا الغرض بعدة طرق منها ما يساعد عليه نظام الاختيار فى الجامعة حيث نجد هذا الطالب غير المتفرغ لا يدرس قدراً من المواد مساوياً لما يدرسه نظيره المتفرغ . وبذا يمكن ببعض من التعب وبعض من تضحية للذات الحياة ومتعها أن يجمع بين اجتهاد فى دراسته وأداء لوظيفته فى غير خلل . لقاء أن ينهى دراسته فى مدة أطول بعض الشيء من الطالب المتفرغ ،يسمح له هذا الامتداد أن يستذكر دروسه ويستوعب موضوعه بحيث يمكنه الاستفادة من هذه الدراسة وهذه المعلومات فيما يقبل عليه من عمل وفيما يقوم به من وظائف وفيما يؤديه من خدمات وانتاج .

ويمكن أن يكون نشر المعرفة للبالغين بأن تسعى الجامعة إليهم حيث يكونون لا أن تنتظر منهم السعى إليها حيثما تكون ، بأن تصدر النشرات أو ترسل المندوبين إلى الفلاح والعامل والصانع والتاجر كل فيما يخصه وكل فيما يعود عليه بالفائدة ، أو تصل اليهم بالحديث الإذاعى أو بالفيلم السينمائى أو التليفزيونى يحمل اليهم آخر ما وصل إليه العلم وتوصل إليه البحث فى لغة سهلة وفى ارشادات ميسرة ، يعود عليهم تطبيقها بالنفع أو تؤدى الاستفادة منها إلى حياة أرغد ومعيشة أسهل وقد يكون النفع مادياً أو تكون المنفعة معنوية .

ثانياً : الجامعة وأجهزتها :

والجامعة فى أدائها لهذه الوظائف العديدة وفى تحقيقها لهذه الأغراض النبيلة وفى وفائها بهذه الرسالة الضخمة المتشعبة تستعين بالكثير من الأجهزة . وكلما ارتفع مستوى هذه الأجهـــزة وحسن نظامها كلما يسر ذلك للجامعة القيام بالأعباء الملقاة على عاتقها وأول هذه الأجهزة المكتبة ، ولا تقتصر قيمة المكتبة على ما يوجد بها من مجلدات وما تحتويه دواليبها من مخطوطات ، وما تشير إليه فهارسها من مجلات بل يتعدى ذلك إلى نظام للفهرسة يسير ، ونظام للاستعارة سهل ونظام لتحديد مكان المرجع مستعاراً كان أو فى المكتبة لا يتطلب الا ثوان . ولا تقتصر وظيفة المكتبة وواجب موظفيها على المحافظة على المراجع وتسهيل إعارتها ، ولكن يدخل من ضمن أغراضها ووظيفتهم أن ينشروا هذه المعلومات وأن يساعدوا فى الوصول إليها كلا من الباحث والطالب ، وكلا من الأستاذ العالم والتلميذ المستجد لذا فان نشر القوائم المطولة — عن المراجع التى ألفت فى موضوع معين فنى كان أو أدبى ، علمى كان أو هندسى يقوم به الآن ومنذ زمن غير غير قصير عدد من المشتغلين فى المكتبات ، فنجد مثلا أن أحد الأشخاص قد درس فن المكتبات وفى نفس الوقت أخذ ببعض النواحى الهندسية أو أن مهندساً قد اختار فى دراسته بعض المواد المتصلة بالمكتبات يعمل على حصر ونشر المقالات والمراجع التى كتبت فى موضوع هندسى معين بحيث يسهل على الباحث والأستاذ بعد ذلك أن يجدها وأن يرجع إليها ، وبالمثل يحدث نفس الشيء فى موضوع كيماوى أو بيولوجى أو زراعى أوطبى أوتاريخى

أو جغرافى أو اقتصادى أو اجتماعى أو غير ذلك وبذا تنتقل وظيفة المكتبة من مجرد المحافظة على المعرفة إلى نشرها فتترك الأستاتيكية إلى الديناميكية ، وتنتقل من السكون إلى النشاط ؛ من السلبية إلى الايجابية .

كذلك فان المتاحف والمعامل فى الجامعة يجب أن يكون العاملون فيها على درجة كبيرة من الكفاءة بحيث يمكن الاعتماد عليهم فى أداء الكثير من الأعمال التى يمكن أن توصف بالأعمال اليومية أو التحليلات الروتينية ، حتى يستطيع الأستاذ والباحث أن يشغل وقته ويستغله فيما هو جديد وفيما هو معقد .

وأولى بالجامعة أن تستفيد بآخر ما وصل إليه العلم وأحدث ما اكتشفه الباحثون وأجد ما أخترعه المخترعون ولذا نجد الجامعة تستعين فى أداء وظائفها بالتليفزيون وبالراديو فنجد أن لها أجهزة إرسال خاصة تساعدها فى نشر المعرفة وفى تبسيط العلم للناس ، ونجد أن لها بواخرها تستعين بها فى كشف أسرار البحار والتعرف على أنواع الحياة فيها ، ونجد أن لها طائراتها كما أن لها حاسباتها الأليكترونية ، ومصادرها الإشعاعية وغير ذلك مما يكون أداة فى تيسير الوصول إلى الحقيقة أو فى التدقيق فى معرفة قوانين الحياة .

ولا تتم وظيفة الجامعة بمجرد اجتماع كل هذه العوامل من استاذ إلى طالب ، من عالم إلى باحث ، من مكتبة لمعمل ، من متحف لمدرج وغيرها ، لا تتم بمجرد وجودها معا أو تواجدهم سوياً ، بل لابد وأن يكون بجانب ذلك جهاز كفء يفهم ما هى الجامعة ووظيفتها ، ما هى الجامعة ورسالتها ، ما هى الجامعة وأغراضها ، وتنظيم ييسر أداء هذه الوظائف .

ويسهل القيام بهذه الأغراض ، ويعمل على تحقيق هذه الرسالة ، بحيث لا يحتاج الأستاذ أو الباحث ، العالم أو الطالب إلا إلى أن يبدى الرغبة فتكون كالأمر ، ويظهر المشيئة فيكون التنفيذ ، هكذا يمكنه أن يخلو لدرسه ويعكف على بحثه لا أن ينتقل من مكتب إلى مكتب أو يتابع طلباً لجهاز من قسم لكلية لجامعة لمورد لمستلم لأمين عهدة وهلم جرا . سواء كان ذلك فى الحصول على مرجع أو فى طلب مادة كيماوية أو تصليح جهاز أو حتى القيام بمهمة علمية .

وأى جهـــاز أو أى تنظيم لا يراعى هذه التسهيلات ولا يقوم بهذه الواجبات هو جهار أو تنظيم يعمل على تعطيل وظائف الجامعة تجاه نشر المعرفة والإضافة إليها ، وعلى إعاقة تحقيق رسالتها فى خدمة المجتمع وتوفير احتياجاته من المهنيين الأكفاء والمثقفين ذوى الأفق المتسع والمفكرين ذوى الألباب والمواطنين الصالحين .

الجزء الثانى

التنظيمات الجامعيـــة

نظرة عامـة

التنظيمات فى بعض الجامعات الأجنبيـة

الجامعــة ... تعريفها

الأسس التى يقوم عليها تنظيم الجامعـة

الجامعات المصرية

مثـال لتحقيق رسالة جامعة :

جامعـة الاسكنـدرية

نظرة عامة

هذه هي الجامعة ، على المعرفة حفيظة ، ولها ناقلة وناشرة ، وإليها مضيفة ، و للمجتمع طليعة ولأبنائه رائدة ولمهنييه الجيدين مثقفة ، ولقواده مدربة وللمواطن الصالح مربية ، وهي بسبب هذه الرسالة ومن أجلها تتمتع بالاستقلال وتعمل فى حرية وتتميز بشخصية .

ولكن لا يكفى أن ينص على أن الجامعة هيئة علمية ذات شخصية مستقلة لكى تتحقق لها هذه الصفات ، ولكى تنطلق فى أداء وظيفتها والقيام برسالتها ، ذلك أن الجامعة . مثلها مثل الكثير من الهيئات الأخرى لا تعيش فى عزلة ، ولكنها إذا كانت للمجتمع طليعة فهى فيه مندمجة ، وإذا كانت لأبنائه رائدة فهى بأفعالهم وآرائهم متأثرة .

لذا ولأن الجامعة يجب أن تكون مستقرة مثلما هى مستقلة ، لا تتعرض للكثير من القلاقل والهزات ، ذلك لأنها فى سعيها الدائم وراء الحقيقة ، وفى دأبها على اليقين ، تكون حثيثة ورقيقة فى آن ، حثيثة لأنها لا تعرف الكلل فيما تسعى وراءه من معرفة ، ورقيقه لأنها فى سعيها هذا يجب ألا تتأثر بأى عامل من داخل الجامعة أو خارجها إلا أن يكون جزءاً لا يتجزأ من هذه المعرفة أو تلك الحقيقة .

لذا فإن تنظيمات الجامعة وعلاقاتها وضماناتها توضع وترسم وتمحص فى دقة بحيث لا يكاد الباطل يأتيها من بين يديها ولا من خلفها .

ويمكن أن تقسم علاقات الجامعة إلى قسمين :

أولا : علاقة الجامعة بالمجتمع على مختلف صوره وتباين سلطاته .

ثانياً : التنظيمات الداخلية للجامعة ، أو العلاقات بين مختلف الهيئـات الجامعية و الأفراد فى الجامعة الواحدة ، أى من حيث هى وحده .

و لو أن هذه التنظيمات و العلاقات تتأثر كثيراً بظروف كل مجتمع إلا أنه كما أن كل دراسة علمية يسبقها مسح لما سبق أن اكتشف أو كتب عنها فكذلك لا ضير من الاستفادة من الخبرات التى مرت بها الجامعات الأخرى فى تنظيم جامعة تخدم مجتمعاً معيناً دون ما حاجة للتقيد بحرفية هذا النظام أو ذاك بل يمكن أن يحور بما يلائم ظروف المجتمع الذى تخدمه هذه الجامعة ، وما هذا بجديد ولا بمستحدث إذ أن تاريخ تقدم الجامعات من مجموعة من الأساتذة اطلق عليها Studium Generale فى القرون الوسطى كما سبق أن بينا إلى وقتنا الحالى هو تطبيق لهذا المبدأ يجد فيه المتتبع له المثل تلو المثل.

التنظيمات فى بعض الجامعات الأجنبية :

يذكر بروباكر ورودى(١) أن جامعات الولايات State Universities — فى الولايات المتحدة الأمريكية — تعكس أهم تأثيرين أجنبيين على الجامعة الأمريكية ، الألمانى والفرنسى ، ثم يستطردان(٢) ذاكرين أن الجامعة الأمريكية التى تكونت اختلفت عن زميلتها الألمانية فى :

أولا : أن الجامعة الأمريكية التى أنشئت كان لابد لها أن تتفق مع الكلية الأمريكية (وهذه كانت قد انشئت على النمط الإنجليزى) .

ثانياً : أن اهتماماتها وجهت ناحية اهتمامات المجتمع الأمريكى الجديد الناهض ، مثل الاهتمامات التكنولوجية والتطبيقية .

---

(1) Brubacker and Rudy — Op. Cit. p. 168, (2) pp. 193 - 195

كذلك يعرب هندرسون (١) عن رأى مماثل لذلك .

فكأننا نجد أن الجامعات الأمريكية وإن اختلفت فيما بينها فى تنظيماتها وفى دراساتها ، قد أخذت من المصادر الثلاث الرئيسية التى كانت تؤثر فى عالم المعرفة وقت نشأتها وحورت هذه الأنظمة وطورتها بحيث يمكن أن تلاءم المجتمع الأمريكى ،واقعه، وأبعاده،أغواره وأعماقه فى غير زيف ولا تظاهر .

ويعطى هندرسون(٢) أمثلة عن القيادة الحكيمة التى ترفع من شأن المعهد التعليمى ويبرز من بينها قيادة شارل ايليوت ثم حديثاً جيمس بريان كونانت — وقد سبقت الإشارة إلى بعض آرائهما — لجامعة هارفارد بحيث وصلت هذه الجامعة إلى المستوى العالى الذى تتمتع به حالياً . كما يلخص هندرسون خواص الأشخاص الذين يمكن أن يقوموا بقيادة الجامعات ، أى الأشخاص الذين يمكن أن تسمح لهم مؤهلاتهم باحتلال المراكز الإدارية العليا top administrative posts فى المعهد التعليمى فى الآتى :

١ — يجب أن يكون هذا الشخص من رجال التعليم educator لأن هذه هى وظيفة هذا المعهد ، على أن يجمع بين احترام وثقة المتعاونين معه associates كزميل أكاديمى ، وأن تكون له مميزات القيادة الجماعية group leadership .

٢ — يجب أن يكون منظماً يفهم أسس توكيل المسئولية والسلطة .

٣ — أن يستطيع الحكم على الناس وأن يعرف كيف يحصل على

---

(1) Algo D. Henderson, Op. Cit. pp. 191 —2 (2) pp. 218 — 220.

ويحتفظ بأعضاء هيئة تدريس staff ذوى كفاءة وروح معنوية عالية of high quality and morale

٤ — يجب أن يلم — بعض الإلمام — بالأسس المالية ، وكيفية تحضير وإدارة الميزانية . .

٥ — أن يكون متفهماً للعلاقات العامة . (وهذا قد يكون ذا أهمية خاصة فى الجامعات الأمريكية لأنها تعتمد فى جزء من مواردها على الأقل على المنح والهبات من الأغنياء والهيئات) .

ثم يضيف هندرسون(١) أن الوظيفة التعليمية للجامعة تشمل الرئيس (المدير) president والعميد وأحياناً بعض الموظفين الإداريين يعملون مع أساتذة(٢) faculty المعهد .

ويذكر هندرسون أن الجامعة تختلف عن المؤسسة العامة business enterprise فى أنها لا تتكون مثل أى عمل آخر من العناصر الثلاث : رأس المال والعمل والإدارة لأنه بالرغم من أن لها بعض رأس المال ، وأن العمل فيها لا يتعدى الأشخاص اللازمين للصيانة وللأعمال المكتبية . وبالرغم عن كون الأساتذة faculty members موظفون فى المعهد إلا أن الحال هنا تختلف تماماً عن المؤسسة العامة business enterprise لأن « الأساتذة هم المعهد The Faculty is the institution » فتبعاً للتقاليد ونتيجة لطبيعة الوظيفة نفسها فإن الأساتذة faculty عليهم مسئولية تحديد طبيعة ومدى nature and scope

(1) Henderson, Op. Cit. pp. 223 — 227.

(٢) بالمعنى السابق بيانه فى الفصل : الجامعة أساتذة .

البرنامج الأكاديمى ، وتحقيق الأهداف واختيار المحتويات واتخاذ الحكم النهائى بالنسبة لاختيار وتقدم وتخرج الطلبة .

ويضيف هندرسون أنه فى الجامعات الأوروبية ومعظم بقية العـــالم فإن الرئيس الإدارى للأسـاتذة administrative head of the faculty ينتخب من بين المجموعة لفترات قصـــيرة ويعمل ليرأس المجموعة chairman of the group ويقول هندرسون عن العميد فى الولايات المتحدة أنه يعمل كموظف إدارى administ. ative officer ، ولكنه فى تكوين السياسة التعليمية والبرنامج يكون خاضعاً لرغبة الأساتذة the will of the faculty ويضيف هندرسون أنه إذا ما أصبح تحديد السياسة الأكاديمية والبرامج وطرق تنفيذها خاضعاً لتقدير الإدارة administrative determination لأدى ذلك إلى خيبة frustrations وتعطيل للتعلم .

ويتابع هندرسون كلامه عن الجامعات الأمريكية فيقول عن المدير والعميد أن أيا منهما يحتاج إلى أن يعطى التوجيه الإدارى للبرنامج وأن يتصف بالتسامح فى علاقاته مع زملائه الأكاديميين الذين يكونون فى مجموعهم أساتذة الجامعة ، فإنهم يحتاجون لأن يتمتعوا بحرية فى عملهم وأن يسمح لهم بل وأن يجذبوا للمشاركة الكاملة فى تقرير البرامج والسياسة التعليمية ومن هذا المعنى يصبح العميد chairman للمجموعة مشجعاً inducing للتفكير الجماعى ومشكلا molding فى شكل واحد متكامل ثمار هذا التفكير .

ويذكر هندرسون(١) أنه عند انشاء جامعة فى الولايات المتحدة يتكون

(1) Henderson, Op. Cit. p. 227.

مجلس أوصياء board of trustees or regents كشخصية معنـــوية Corporate body . وأن الأساتذة faculty يؤدون وظيفتهم الفنية professional job وأن الأوصياء عليهم مسئولية الإدارة العامة ونجاح المعهد .

ويقول هندرسون أن رئيس (مدير) president المعهد هو مفتاح التوفيق بين العلاقات فهو يجتمع بمجلس الأوصياء ويجتمع — أو يجب أن يجتمع بمجالس الأساتذة faculty bodies وفى كلتا الحالتين يستطيع أن يكون عاملا مؤثراً فى إدارة دفة التفكير فهو واسطة الاتصال بين المجموعتين ولما كان هو أهم الموظفين الإداريين فإنه ينفذ سياسات كل من المجموعتين ، وعليه واجب أن يحافظ على التوافق harmony بين هذه السياسات .

ويعتقد هندرسون(١) أنه يحسن وجود صلات intercommunications بين الأساتذة وبعضهم وبين الأساتذة والإدارة . حتى يمكن أن توجد طرق لمراجعة الأعمال التى تتم والنتائج التى يتحصل عليها . كما أنه يذكر أن السياسة التعليمية يجب أن تنتج من المجهود المشترك للأساتذة والإدارة faculty and administration لأن تنفيذها يكون على وجه أتم إذا كان الجميع لديهم تفهم وارتباط بالسياسة المركزية understanding and commitment to the central policy ويذكر هندرسون أنه من الضعف الأساسى لدى بعض الإداريين اصدار أوامر فى هذا الشأن أملا فى الحصول على نتائج سريعة ويضيف قائلا أن الطبيعة الأساسية للعمل التعليمى — بالرغم من أنه يتغـير فى خلال مدة من الزمن — إلا أنه لا يتغير بالسرعة التى تتطلب هذا العمل غير المتعقل

The fundamental nature of the task of education, changing though it may be over a period of time, does not change so fast as to warrant such precipitate action .

---

(1) Henderson, Op. Cit. pp. 238 — 239

علماً بأن كفاءة تنفيذ سياسة ما قد تضر بالطريقة التى يصدر بها أمر تنفيذها ويحسن ارجاع جميع المسائل المتعلقة بالسياسة الأكاديمية والبرامج إلى إعتبار الأساتذة faculty consideration وبذا توضع المسئولية حيث يجب أن تكون .

ويعتقد هندرسون (١) أنه يجب تعريف الدور الذى يقوم به الأساتذة بوضوح ، وأن يتذكره كل من الأساتذة والقائمون على إدارة المعهد administrative officers . كما يقول هندرسون أنه يمكن زيادة مشاركة الأساتذة عن طريق تكوين لجان يقومون هم باختيار أعضائها ، وأن لجنة تنفيذية تعمل مع العميد يمكنها أن تنسق من عمل هذه اللجان وأن تحل الكثير من المشاكل المتعلقة بالتعيين والمهايا والترقية وتوزيع الميزانية وخلافه على أنه يرى أن الناحية التعليمية العامة للبرنامج الأكاديمى يجب أن تكون من اختصاص الأساتذة جميعاً the faculty as a whole . كما يذكر أنه يمكن أن يكون هناك « مجلس » senate يمكن أن يستشار فى المشاكل التى تجابه المعهد مثل الحرية الفكرية والكرامة ، والميزانية ، ومستويات المهايا ، واعتبارات المهمات العلمية ، والتأمين والتقاعد .

ويذكر هندرسون أن الأشخاص المسئولين عن النواحى الإدارية

---

(1) Henderson, Op. Cit. p. 241.

administrative officers يمكن أن يؤدوا وظائفهم بطريقة أحسن إذا ما اجتمعت لديهم العناصر الأساسية الآتية :

١ — أسس وطرق الإدارة .

٢ — تاريخ وفلسفة التعليم العالى .

٣ — تفهم للمشاكل الحالية والإتجاهات فى التعليم العالى .

٤ — معرفة بتصميم البرنامج الدراسى وإدارته .

٥ — دراسة خاصة بالعلاقات الإنسانية وطرق الأفراد .

٦ — معرفة بنمو وتمويل التعليم العالى .

وعندما يناقش هندرسون(١) علاقة التعليم العالى مع السلطات من خارج الجامعة يقول أن لب المشكلة هو الحصول على أموال تكفى لبناء وتشغيل المعاهد على النطاق الكبير المتسع . وأنه إذا كان معظم التمويل سيكون من الأموال العامة ، فإن الأمر الرئيسى هو كيف يمكن زيادة المشاركة الحكومية personnel practices بحيث يتم فى نفس الوقت المحافظة على درجة كبيرة من استقلال autonomy الجامعة ؟

ويضيف هندرسون(٢) أنه ربما كان أحسن مثل لنظام mechanism للتنظيم coordination والتخطيط planning فى التعليم العالى لتحقيق هذا الغرض هو لجنة المنح الجامعية University Grants Commission فى بريطانيا ويعزو سر نجاح وهيبة prestige هذه اللجنة إلى خاصيتين : قيمة الرجال

(1) Henderson, Op. Cit. p. 252.

(2) Henderson, Op. Cit. p. 274.

الذين يعينون فيها ، والتقاليد التى تحيط معاهد الدراسة العالية ، ويذكر من هذهالتقاليد الحرية من الارتباطات السياسية political involvement والاستقلال الذاتى local autonomy ، وتحديد الأدوار distinctiveness of roles ويذكر أنه بدون إحداث اضطراب لهذه الحريات فى الجامعات ، تمكنت اللجنة بالرغم عن ذلك أن تعمل على تقدم سريع جوهرى فى زيادة التسهيلات واصلاح سياسات التعليم العالى فى بريطانيا .

وعن لجنة المنح الجامعية فى بريطانيا نجد أن الملحق الرابع لتقرير لجنة روبنز(١) التى شكلت فى بريطانيا لتدرس التعليم العالى بها يذكر أن هناك عدة ترتيبات الغرض منها المحافظة على استقلال الجامعات نظراً لأن معظم (٨٠ ٪) من دخل الجامعات هو من مصادر مال الدولةوأن أخص هذه الترتيبات هى لجنة المنح الجامعية التى تقف بين الحكومة والجامعات وتتكون فى وضعها الحالى (١٩٦٣) من شخص متفرغ يدير جلساتها chairman وثمانية عشر عضواً : اثنان منهم يختصون بمسائل المهايا ، أما الستة عشر عضواً الآخرين فنهم عشرة يخدمون فى الجامعاتواثنان لهم علاقة بنواحى التعليم الأخرى ، وثلاثة من الصناعة وواحد من هيئة أبحاث ، وقد تمثل وزارة الزراعة والأغذية والأسماك ، وأقسام التعليم والصحة ، ومجالس البحوث ومكتب وزير العلم فى اجتماعات اللجنة أو أحد فروعها ولكنهم لا يتحملون

---

(1) Robbins Committee Report, Appendix Four. Administrative, Financial and Economic Aspects of Higher Education, Her Majestey's Stationery Office — London 1963.

أية مسئولية عن عمل اللجنة . ويعين الأعضاء عادة لمدة خمسة سنوات قابلة للتجديد ، ويساعد اللجنة سكرتارية فنية ذات خبرة

وأغراض اللجنة ووظيفتها terms of reference هى بحث الاحتياجات المالية للتعليم الجامعى فى بريطانيا وتقديم النصيحة للحكومة بالنسبة للمنح التى تقابل هذه الاحتياجات ، وتجميع وفحص ونشر المعلومات المتعلقة بالتعليم الجامعى فى المملكة المتحدة ، والمساعدة بالتشاور مع الجامعات والهيئات الأخرى المعنية فى القيام بتحضير خطط نمو الجامعات التى يحتاج إليها من وقت لآخر لكى تتأكد ملاءمتها دائماً للاحتياجات القومية .

وتقوم اللجنة بعملين :

١ - تنصح advise الخزانة عن المبلغ الكلى الذى يمكن أن يوضع فى متناول الجامعات .

٢ - توزع المبلغ المرصود total provisions بين الجامعات وتقسم المنح grants التى تعطيها اللجنة إلى منح متكررة recurrent ومنح غير متكررة Non-recurrent grants

وتشمل المنح غير المتكررة منحاً للصرف على النواحى التالية :

(ا) إقامة وتحسين المبانى .

(ب) شراء أدوات وأثاث للمبانى الجديدة .

(ج) دفع أجور المهنيين (للمبانى) .

(د) شراء أراضى وممتلكات .

١ — المنح المتكررة Recurrent grants

وهذه تحسب مبالغها بالنسبة لمصاريف الجامعة فى خمس سنوات أكاديمية مالية (من أول أغسطس إلى ٣١ يوليو) ، عادة مع حساب زيادة فى كل سنة من السنوات الخمس . وهذا لا يمنع إعادة النظر فى هذا المبلغ فى أثناء الخمس سنوات وهذه المبالغ عندما تحصل عليها الجامعات يمكنها أن تتصرف فيها حسب ما ترتأيه .

ويبتدىء تقرير المنح المتكررة للجامعات بالزيارات التى تقوم بها اللجنة للجامعات والتى قد تمتد على مدى خمس فترات جامعية ،سنتين تقريباً قبل ابتداء السنوات الخمس التى تقرر لها المنح ، وتعمل هذه الزيارات على تمكين اللجنة من جمع المعلومات عن حاجة الجامعات فى الخمس سنوات التالية ، كما تمكنها من تفهم شعور الجامعات . وكذلك فان هذه الزيارات تمكن اللجنة وأساتذة الجامعات من تبادل الرأى عن عمل اللجنة وعن الاحتياجات القومية من عدد الطلبة والخريجين فى نواحى تخصص معينة مثلا .

وبناء على النماذج التى تملؤها الجامعات تقدم اللجنة تقريراً سرياً لوزير الخزانة يحوى توصياتها وذلك فى ديسمبر من السنة الخامسة ، ويشمل هذا التقرير الاحتياجات المالية للجامعات ككل وليس لكل على حدة .

ثم بعد أن تتم موافقة البرلمان على المبالغ تقوم اللجنة بتوزيعها على الجامعات (فى مارس عادة) .

ويستمر كلام ملحق تقرير لجنة روبنز ذاكراً أنه بالنسبة لهذا الترتيب

فان الجامعات تتمتع بالاستقلال التام فى تحديد محتويات التعليم وفى مراقبة مستويات الدرجات التى تمنح ، وكذلك بالنسبة لتحديد اتجاهات الأبحاث وقبول المنح للقيام بها . كذلك فان استقلال الجامعة يتضح فى اختيارها للطلبة ، من حيث العدد المقبول بالنسبة للأساتذة والتسهيلات الموجودة فى الجامعة . كذلك فالجامعة حرة فى تعيينها لمن تعتقد أنه أهل ليكون من أعضائها.

ويتضح مدى استقلال الجامعة فى أن المراجعين الحسابيين للحكومة لا يطلعون على حسابات الجامعة وعلى دفاترها .

أما التنظيم الداخلى للجامعة فيختلف من جامعة لأخرى فى المملكة المتحدة كما يظهر ذلك نفس الملحق إلا أنه يمكن تلخيص ما تتميز به هذه النظم التى ذكرت فى هذا التقرير فيما يأتى :

١ — أن لكل جامعة تقريباً رئيس يسمى chancellor تنتخبه إحدى الهيئات المشرعة statuary bodies فى الجامعة ، ولا يباشر أية وظائف إدارية ولكنه للاستشارة والرسميات Ceremonies

٢ — لكل جامعة رئيس إدارى تختلف تسميـــة وظيفتــه بين principal و Vice-chancellor وهو عادة دائم أو قد يشغل المنصب لمدة معينة.

٣ — لكل جامعة عدة مجالس تختلف فى تكوينها وفى عدد أعضائها ويبلغ عددها ما بين ثلاث واربع مجالس وأكبرها عدداً وأوسعها قاعدة ويسمى البلاط مثلا .Court يجتمع مرة أو اثنين فى العام وينتخب الـ chancellor ويعين الـ .vice-chancellor ويتكون من ممثلين للهيئات المحلية والعلمية وخريجى الجامعة (التى يخصها هذا المجلس) ومن ممثلين للهيئات

الدينية ومن ممثلين لأساتذة الجامعة (بالمعنى الحقيقى وبالمعنى الوظيفى) وقد يكون الأساتذة أعضاء فيه بحكم وظائفهم أو قد ينتخبوا من بين زملائهم ، أما ممثلو غير الأساتذة (بالمعنى الوظيفى) فيتم انتخابهم من بين أعضاء هذه الفئة لمدة معينة وقد يبلغ عدد أعضاء هذا المجلس المئات .

والمجلس الآخر هو الـ council وهو الذى يدير النواحى المالية فى الجامعة ويعين بالتشاور مع الـ senate والـ vice-chancellor فى معظم الجامعات ويتكون من حوالى ٣٠ — ٥٠ عضواً ، والـ chancellor والـ vice-chancellor أعضاء فيه بحكم وظائفهم . ويتكون من ممثلين للسلطات المحلية وممثلين معينين من قبل البلاط court ولكن عادة فى الاجتماعات الأعضاء الأكاديميون هم الأغلبية واعضاؤه من الأساتذة (بالمعنى الوظيفى) إما أن يكونوا اعضاء بحكم وظائفهم أو ينتخبوا من الـ senate ، أما الأعضاء الأكاديميون من غير الأساتذة (بالمعنى الوظيفى) فإما أن ينتخبوا بواسطة هذه الفئة أو بواسطة الـ senate لمدة تتراوح بين ٢ — ٣ سنة .

أما الـ senate وقد يسمى academic board فهو الهيئة الأكاديمية الرئيسية وينظم ويوافق على العمل فى الكليات ومسئول عن التدريس ونظام الطلبة . وكثيراً ما يقوم بتقديم توصيات بشأن تعيين الأساتذة وأعضاؤه الذين قد يبلغ عددهم المائة هم من الأشخاص الأكاديميين ، الأساتذة وغير الأساتذة (بالمعنى الوظيفى) والأعضاء غير الدائمين فيه يخدمون لمدة ٢—٣ سنوات عادة .

الكليات Faculties : تنظم التدريس فى مواضيعها الخاصة على أن يوافق عليها الـ senate وكذلك تناقش الأنظمة

والقواعد وأى موضوع يحال إليها من الـ senate وكثيراً ما توصى بالتعيين فى السلك الأكاديمى ، وتكوينها يختلف من جامعة إلى أخرى بل من كلية إلى أخرى فى نفس الجامعة . ولكن عادة الأعضاء الدائمون والمتفرغون (كل الوقت) فى الجامعة أعضاء فيها .

اللجان المالية Finance committees : يختلف تكوين هذه اللجان من جامعة إلى أخرى ولكنها قد تتكون من الأساتذة وغير الأساتذة (بالمعنى الوظيفى) .

ويقول ملحق التقرير هذا أنه من الوجهة العملية فإن معظم إدارة الجامعة تحدث فى لجان تتكون من هذه المجالس وأن المجالس تقوم بإقرار تقارير هذه اللجان عادة دون مناقشة ، فالمصاريف وتوزيع الميزانية تترك للجنة المالية للمجلس Council مثلا . والتعيين له لجان تختلف فى تكوينها باختلاف الدرجة . والمكتبات ومساكن الطلبة لها لجانها الخاصة وهكذا .

وعن إقرار سياسة الجامعة policy making يذكر التقرير أنه يفضل دائماً معرفة شعور وآراء الجامعة ككل وأى تؤخذ فى الاعتبار .

ويقول التقرير عن الصرف أن اللجنة المالية تقوم بتوزيع الميزانية ، ولعمل ميزانية الخمسة سنوات فإن كل كلية يطلب منها أن تقدم ما ترجو أن تقوم به من نمو وما ينتظر أن يتكلفه هذا النمو بالنسبة للأكاديميين وغير الأكاديميين . ومن مصاريف أخرى إلى الـ senate . وأن اللجان التى تقوم بهذه التقديرات تتكون من الأكاديميين الأساتذة وغير الأساتذة (بالمعنى الوظيفى) .

أما عن نظام تعيين الأكاديميين فيقول التقرير أنه يختلف من جامعة لأخرى .

وعن تمثيل غير الأساتذة بالمعنى الوظيفى Non-professorial representation يذكر الملحق أن الاتجاه هو زيادته لأنه يجعل عدداً كبيراً من الأشخاص ذوى الخبرة يعملون فى الهيئات المختلفة فى الجامعة ، وهذا يساعد على رفع الروح المعنوية ، ويجعلهم يشعرون بأنهم ينتمون إلى مجتمع أكاديمى يعمل على أساس ديموقراطى .

ويذكر التقرير أنه اقترح ألايكون رؤساء الأقسام دائمين بل ينتخب شخص يدير القسم chairman ليخدم لعدد معين من السنين وأن تكون مسئولية القسم فى أيدى مجلس board يتكون من كل الأعضاء الأكاديميين الدائمين فى القسم .

وفى فرنسا التى كان نابوليون قد أنشأ بها جامعة فرنسا منتشرة فى جميع أنحاء البلاد ولكن فى الواقع مركزة فى باريس ، والتى سبق أن ذكرنا أن ليشنروفيس(١) قال أن التوحيد الادارى للكليات فى حوالى ١٨٧٥ م فى كيان سمى « جامعات » بقى إلى حد كبير وهما إدارياً ، وقد وصفت موسوعة كايين ١٩٦٦ التعليم العالى فى فرنسا بالجمود وعدم المرونة ووجود الحواجز بين الأنظمة العلمية وبالمركزية والشلل والإقطاع (٢). لذا فإن موسوعة كايين نفسها اقترحت أن يعكس هيكل الجامعة الربط بين التعليم

(1) Lichnérowisz, Op. Cit.

(2) Monod. Op. Cit.

والبحث وذلك عن طريق نظام الأقسام التى تقوم بالتعليم والبحث فى آن واحد كما أعطت المواصفات الآتية للقسم :

١ — يتكون القسم من عدد يتراوح بين ٥ ، ١٥ أستاذ ومحاضر) (الموسوعة كانت قد أوصت بإلغاء نظام الكراسى) .

٢ — ينتخب القسم رئيساً له لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة فقط

٣ — يضم مجلس القسم الأساتذة والمحاضرين وممثلين عن المحاضرين المساعدين والمساعدين والطلبة والبحاث وأن يجتمع مجلس القسم مرة كل شهر على الأقل .

٤ — أنه ليس من الضرورى أن تتشابه هياكل الأقسام المختلفة.

٥ — يجتمع رؤساء الأقسام وممثلو الأقسام عند نظر موضوع معين يتعلق بأقسامهم .

وليس من المستغرب أن يجمع على أن يكون شغل رئاسة القسم شغلا مؤقتاً لأن شغل الأكاديمى للمناصب الإدارية يجب فى الواقع أن يكون موقوتا وليس دائماً ذلك أن الأكاديمى إذا ما شغل منصباً إدارياً أثر هذا على نشاطه العلمى واذا ما استمر فى هذا المنصب لمدة طويلة فإن طبيعة تفكيرة نفسها تتأثر وينعكس ذلك على النواحى الأكاديمية سواء فى البحث أو التدريس مما قد يكون من نطـــاق اشرافه الادارى . كذلك فإن شغـــل الأكاديمى لعمل إدارى إذا ما اتصف بالديمومة ربما نتج عنه أن يكتسب هذا الشخص صفات التحكم والتسلط فإذا ما اقترنت هاتان الصفتان بانتهاء التفكير العلمى تبع ذلك التأخر إن لم يكن التدهور .

وعلى ذلك فشغل مثل هذا العمل الإدارى بصفة مؤقتة فيه حماية لمن يشغله من أن تنتفى عنه صفات الأكاديميين وطبيعتهم وطريقة تفكيرهم ، كما أنه يحفظ لمجتمع الأكاديميين — الذى هو دائماً فى أمس الحاجة إلى خدمات كل فرد من أفراده بل وإلى زيادة عدد اعضائه — واحدا من هؤلاء الأعضاء بدل أن يفقد إلى الإداريين بحكم طول المدة .

زد على ذلك أن التغيير الدورى يؤدى إلى إتاحة الفرصة لظهور أفكار جديدة ويخلق روحاً متجددة . ويمكن ضمان استمرار سياسة معينة للقسم حتى تكتمل وتعطى بعض ثمارها بألا تكون مدة القيام بمثل هذا العمل قصيرة تبتر السياسات ولا تتيح لها فرصة النضج والإثمار ، فمثلا يمكن جعلها لمدة سنتين إلى ثلاث سنوات ، وبذا يمكن الجمع بين مزايا إستمرار سياسة معينة حتى تؤتى ثمارها ، وتجنب مضار الديمومة فى شغل مثل هذه المناصب.

ولم يكن القسم وهيكله هو العلاج الوحيد الذى أرتأته موسوعة كاين للنظام الجامعى الفرنسى بل أنها رسمت حلا تضمن عديداً من النقاط منها : (١)، (٢)

١ — تعدد الجامعات فى المنطقة الجغرافية الواحدة بحيث تكون متكاملة ومتنافسة وأنه ليس من الضرورى أن يكون لها نفس الهيكل التركيبى .

٢ — أن يهتم بمدارس الدراسات العليا لتصبح فى قوة الجامعات الأمريكية .

---

(1) Lichnérowisz, Op. Cit.

(2) J.E. Dubois, M. Zamansky et R. Lattès; Les Uniiversités, Le Colloque National de Caen 1966.

٣ — أن يشجع تبادل الأساتذة بين الجامعات الفرنسية .

٤ — أنه من الممكن أن يكون هيكل الجامعة كالآتى :

(١) مجمع الجامعة assemablée d'université

وأعضاؤه هم : جميع الأساتذة والمحاضرين وممثلون عن المحاضرين المساعدين والمساعدين وعن الطلبة . وهذا المجمع يمكن أن تجتمع أجزاء منه عند بحيث موضوع معين يهم الأعضاء الذين يكونون هذه الأجزاء المختلفة .

(ب) مجلس للجامعة sénat (ou conseil) d'université

ويضم رؤساء الأقسام وممثلين عن الأقسام ولا يزيد عدد أعضائه عن الخمسين .

(ج) مجلس للإدارة (للتنفيذ) : Conseil d'administration

ونصف أعضاء هذا المجلس على الأقل ينتخبون من رجال الجامعة والباقى يعينون نظرا لكفاءتهم العلمية أو الإدارية أو الإقتصادية أوالمالية أو يمثلون النشاطات المحلية .

٥ — إن يكون رئيس الجامعة president ou recteur أستاذاً ينتخبه مجلس للجامعة sénat (ou conseils) d'université لمدة ثلاث سنوات ولا يجدد له إلا مرة واحدة .

٦ — يستعين رئيس الجامعة بمعاونين assesseurs من بين زملائه يوكل إليهم جزءاً من سلطاته لمعالجة مشاكل معينة .

٧ — أن تكون علاقة الجامعة بالدولة بحيث يكون للجامعة استقلالها وذاتيتها .

٨ - أن تكون معونة الدولة subvention d'Etat للجامعة بحيث تستطيع الجامعة القيام بعملها بطريقة طبيعية بما فى ذلك البحوث . وألا يمنع ذلك الجامعة من أن يكون لها موارد أخرى .

ولكن كريستيان فوشيه الذى كان وزيراً للتعليم الوطنى فى فرنسا فى ذلك الوقت لم يأخذ بوجهات النظر هذه وأدخل اصلاحا بصفة ميشو(١) أستاذ ومدير مركز دراسة الحضارة المعاصرة بأنه زاد من التخصص ومن الحواجز بين الأنظمة العلمية مما أدى إلى زيادة عدم رضا الطلبة ومن قلق عدد كبير من المعلمين .

وقد وصل سخط الطلبة إلى حد ثورتهم المعروفة فى مايو ١٩٦٨ والتى استمرت أشهراً(١) .

وفى ٧ نوفمبر ١٩٦٨ استصدر وزير التعليم الوطنى الفرنسى ، إدجار فور قانون توجيه التعليم العالى (٢) الذى أخذ بكثير من توصيات موسوعة كاين ومن وجهات النظر التى ابديت فيها فنص القانون على :

١ - إمكان تعدد الجامعات فى المدينة الواحدة .

٢ - الغاء الكليات

(1) Guy Michaud, Professeur, Directeur du Centre d'étude de la Civilisation Contemporaine; Guide France, 1970.

(2) La Loi d'Orientation de l'Enseignement Supérieur, Op Cit.

٣ — إلغاء كراسى الأستاذية .

٤ — الجامعات عديدة الأنظمة العلمية pluridisciplinaires

٥ — يمكن أن تتجمع الأنظمة العلمية disciplines بالطريقة التى تناسبها a leur gré فى وحدات للتعليم والبحث Unités d'enseignement et de recherche

٦ — الجامعات والمنشئات التى تتكون منها الجامعات تتمتع باستقلال وذاتية autonomie إدارية ومالية وتربوية . فهى التى تحدد بحرية هيكلها وبروجراماتها التعليمية والبحثية وطرقها التربوية وطرق امتحاناتها وطرق قياسها للاستعداد aptitude وطريقة استخدام الأموال credits التى تعطيها لها الدولة .

٧ — يشارك الطلبة فى مجالس المنشآت الجامعية المختلفة .

٨ — تقوم مجالس منتخبة بادارة المنشئات الجامعية فى المستويات المختلفة وتتكون هذه المجالس من ممثلين للمعلمين enseignants (أساتذة ومحاضرون ومحاضرون مساعدون ومساعدون) ومن الطلبة ومن الأشخاص الإداريين .

٩ — يدير كل جامعة رئيس منتخب .

الجامعة

يمكن أن نخلص مما وضح لنا فى الفصول السابقة إلى أن الجامعة تتميز بعدة صفات ويبرز فيها عدد من الخواص لكى تقوم باعباء وظيفتها ولتحقق رسالتها.

١ - الجامعة مجتمع يتصف بالوحدة والشخصية .

٢ - الجامعة هى الفكر وهى تضم مفكرين تكوينهم العلمى والخلقى والنفسى جعل أهم ما يصبون إليه هو خدمة العلم والمعرفة الانسانية .

٣ - الجامعة بطاقاتها البشرية والمادية تقوم بالمحافظة على العلم والمعرفة ونشرها والإضافة إليها بحيث تتوفر لها دائماً خاصية الدقة والتجرد وذلك بجميع الوسائل والطرق التى تكون فى متناولها والتى ييسرها لها المجتمع والبيئة التى تنتمى إليها وتشغل منها - بحكم مسئولياتها ورسالتها - مكان الصدارة

٤ - الجامعة - طليعة مجتمعها - تقوم بالتعرف على مشاكل المجتمع واحتياجاته المعاصرة والمتوقعة وتعالجها وتحاول إيجاد الحلول لها ، سواء كانت فى صور مادية أو معنوية أو بشرية .

٥ - الجامعة تهدف إلى أن تضفى على المجتمع وأعضائه السعادة المادية والروحية وتنقل إليه ككل ، صفاتها وخصائصها ومميزاتها ، وتعمل على أن ينهل كل فرد منه من علمها ومعرفتها وثقافتها .

٦ - الجامعة فى تحملها لمسئولياتها وتحقيقها لرسالتها تتصف بالمنطق والعدل ، بالموضوعية والتجرد ، ويوفر لها المجتمع - الذى تخدمه والبيئة التى تضمها . الاستقلال والحرية ليس فقط لأنهما لازمان للقيام برسالتها وتحقيق أهدافها إذ لا فكر ولا صدارة بدون استقلال ، ولا مسئولية ولا رسالة بدون حرية ، بل أيضاً لأن الاستقلال للجامعة هو الكيان ، والحرية لها هى الحياة .

الأسس التى يقوم عليها تنظيم الجامعة

لكى يضمن المجتمع أن الجامعة تتصف بهذه الصفات وأنها على أهدافها عاملة ولرسالتها محققة وجب على المجتمع أن يجعل من التنظيمات الجامعية طريقاً يضمن تحقيق هذه الأهداف ونهجاً يرتفع إلى مستوى هذه الرسالة .

ولعل النقاط التالية التى يمكن أن تعبر عن التنظيمات الجامعية السابق الإشارة إليها ، وتعكس صفات ومزايا الجامعة ، وحقوقها وواجباتها وضماناتها تصلح أسساً لهذه التنظيمات :

١ — الاستقلال والحرية :

أن يضمن ويوفر القانون الأساسى (الدستور) لكل بلد الآتى :

(ا) استقلال الجامعة عن السلطات الحكومية المركزية والمحلية .

(ب) استقلال وحرية أساتذة الجامعة فيما يقومون به من تدريس وأبحاث من أى تأثير سواء كان من خارج الجامعة أو من داخلها ، سواء كان من السلطات الادارية فى الجامعة أو من الزملاء الأكاديميين بها .

كذلك يجب أن توفر لهم القوانين واللوائح الأخرى الضمانات المعيشية اللازمة ، والإطمئنان وعدم الخوف على مستقبلهم .

٢ — الوحـــدة :

يجب أن تحقق هذه التنظيمات وحدة الجامعة لأن الجامعة هى المعرفة والجامعة هى العلم ، والمعرفة والعلم ، وان امتازا بالتخصص والتعمق الا أنها متصلة غير منفصلة . وأن ينعكس ذلك فى كل من النظم التى توضع لتنظيم الدراسة وتنظيم البحوث ، على ألا تتعارض مع المبدأ السابق .

٣ - الجامعة أساتذة

الجامعة هى الأساتذة ، فاذا كان للجامعة أن تزداد رفعة وتعلوشأناً وترتفع مقاماً فوسيلتها إلى ذلك وطريقها إليه هو أساتذة ممتازون علماً ، فاضلون خلقاً .

٤ - تمويل الجامعة

يوضع تنظيم مناسب بحيث أن تمويل الجامعة من الأموال العامة يتم دون أن يخل باستقلال الجامعة وحريتها ويضمن عدم تدخل السلطات الحكومية فى شئونها .

كذلك يجب أن يتصف نظام تمويل الجامعة بجانب ضمان استمراره بمراعاته لازدياد احتياجات الجامعة على مر السنين ، وما قد يعترى الأسعار من ارتفاع .

ويمكن تقسيم تمويل الجامعة إلى ثلاثة أقسام :

١ - تمويل لأغراض لا تتكرر مثل مبانى معينة .

٢ - تمويل لأغراض متكررة مثل المهايا والمصاريف الثابتة فى الجامعة .

٣ - تمويل لأغراض معينة مثل القيام بدراسات أو أبحاث معينة أو انشاء أقسام معينة .

كذلك يسمح للجامعة بأن تقبل التمويل لأغراض القيام بأبحاث أو دراسات معينة على ألا يلزم هذا التمويل لا الجامعة ولا أساتذتها بأية شروط تخل بحرية الجامعة أو حرية الأستاذ أو حرية البحث عن الحقيقة

٥ ــ السياسة التعليمية :

السياسة التعليمية فى الجامعة هى من صميم اختصاص أساتذتها ، لذا يجب أن يشارك هولاء الأساتذة فى وضع هذه السياسة ، إذ أنهم هم الذين ينفذوها ، ويجب ألا يحدث أى تغيير فيها دون أخذ رأيهم ككل ، ويحسن أن يكون هذا التغيير نابعاً منهم .

وتشمل الدراسات فى الجامعة جميع المواضيع ذات المحتوى الفكرى intellectual . وتنظم بحيث يحصل كل فرد يدرس لدرجة جامعية فى تخصص معين على قدر من الثقافة والتراث الانسانى يجعله يشعر بفضل المجتمع عليه و مسئوليته تجاه هذا المجتمع .

٦ ــ الكفاءة و البساطة :

يجب أن يكون التنظيم الجامعى وخاصة فى الناحية التنفيذية منه ذا كفاءة عالية إذا ما أريد للعمل الجامعى أن يتم بكفاءة عالية ، وأن يكون خالياً من التعقيد لأنه كلما تعقدت النظم كلما تعطل العمل وخاصة فى الوظيفتين الحساستين للجامعة وهما التدريس والبحث .

٧ ــ التحديد والمرونة :

يجب أن تقرر وتحدد وظيفة الجامعة ليس من الوجهة العامة فقط بل بالنسبة للمجتمع المعين الذى تنتمى إليه فلا يقال أن الجامعة تخدم العلم والمعرفة والمجتمع فقط ، بل يجب أن نعرف ونحدد المجتمع الذى تهتم به هذه الجامعة وتسعى إلى خدمته أو أن تحدد احتياجاته حتى يمكن للجامعة أن أن تسعى إلى تحقيقها : على أن يترك مجال للمرونة فى أداء هذه الواجبات وفى طرق تحقيق هذه الرغبات والاحتياجات .

٨ — مواجهة الحقائق :

يجب أن تواجه الجامعة كل الحقائق بما فيها — وعلى الأخص — حقائق المجتمع والبيئة التى تنتمى إليها وتخدمها بشجاعة فإذا لم تكن تستطيع أن تقوم بنوع معين من الدراسة أو البحث أو أى شىء آخر فلا داعى مطلقاً للتظاهر بالقيام به أو القدرة على القيام به وتزييف مقدراتها وامكانياتها لأن التظاهر والتزييف مدعاة لفقد الشخصية واحترام الذات ويؤديان إلى الاضمحلال والتدهور .

٩ — الإتصال بالجامعات والعلماء فى البلاد الأخرى :

تكون من مهام الجامعة — ومن واجب أساتذتها — الاتصال الدائم والكثير بالجامعات وهيئات العلم الأخرى سواء كانت تقع فى البيئة التى تضمها أو فى مجتمعات أو بيئات أخرى ، وذلك تأكيداً لمبدأ وحدة العلم ووحدة المعرفة ، وتمكينا للاستفادة مما تصل إليه أبحاث ومعرفة هذه الجامعات والهيئات الأخرى فى خدمة العلم . ويكون ذلك بكل الطرق ومنها المراسلات ، وحضور المؤتمرات والمهمات العلمية على فترات منتظمة

١٠ — تنظيم الدراسة والبحث :

لتحقيق وحدة الجامعة من حيث الدراسة تنظم الدراسة بحيث تصبح المادة الدراسية الواحدة هى وحدتها . فمثلا الطلبة الذين يدرسون مادة كيمياء واحدة معينة ، أو رياضة أو اجتماع أو قانون ، أو احصاء أو جغرافيا أو طبيعة يدرسونها جميعاً معا مهما اختلف تخصصاتهم .

ويكون الأستاذ الجامعى بتخصصه واستقلاله الوحدة الطبيعية للبحث فيقوم بالبحوث فيما تخصص فيه ويشرف على ويمرن الطلبة الذين يقومون

بالبحوث فى هذا التخصص . أما البحث الجماعى فإنه ينبت تلقائياً من تقارب الأساتذة ومن تحقيق وحدة الجامعة موضوعياً ومكانياً .

وكما ترصد الأموال للأغراض الدراسية فى الجامعة فلابد وأن ترصد كذلك أموال لغرض الأبحاث ، ولما كانت وحدة البحث هى الأستاذ فهذه الأموال توضع تحت تصرف الأستاذ القائم بالبحث المعين ، وتكون هذه هى إحدى الطرق لضمان استقلال الأستاذ ونجاح أبحاثه .

كذلك لضمان استغلال وقت الأستاذ بأكثر كفاءة ممكنة فيجب أن يمنح المساعدات الفنية اللازمة ، سواء بالنسبة لعمله فى المعمل ، أو التحليل الاحصائى أو مساعدات مكتبية أو من جهة السكرتارية وغير ذلك مما ييسر بحثه وتدريسه .

١١ — عدم تركيز السلطة :

يجب ألا تركز السلطة فى أيدى قليلة خاصة بالنسبة للأساتذة وما يتعلق بشئونهم من حيث الترقية والسفر فى مهمات علمية وغير ذلك لأن تركيز السلطة يؤدى إلى التحكم وهذا هو ألد أعداء الفردية الخلاقة creative individuality التى هى أساس تكوين الأستاذ الجامعى والعامل الأكبر فى فى انتاجه .

١٢ — التفرغ :

يجب أن يكون رجال الجامعة متفرغين للجامعة حتى يمكنهم أن يركزوا على عملى التدريس والبحث نظراً لأن هذا العمل إذا ماكان منتجاً فلا بد وأن يشغل تفكيرهم معظم الوقت . وهذا لا يمنع أن يقوموا بخدمة المجتمع والبيئة فى صورة استشارات أو عضوية لجان على أن يكون ذلك فى أضيق الحدود وألا يشغل من وقتهم الا القليل وفى نطاق تخصصاتهم ، وان تتخذ

الاحتياطات اللازمة حتى لا تتأثر استشاراتهم بأى عامل آخر غير الحقيقة التامة والدقيقة .

١٣ — تعريف وظائف الإداريين والأكاديميين :

كما تحدد وظيفة الجامعة وتعرف ، فيجب أن تحدد وظيفة كل عضو فيها وتعرف من كبار الأشخاص الإداريين كالرئيس (المدير) والوكلاء والعمداء إلى جميع الأشخاص الأكاديميين من رؤساء أقسام إلى أساتذة ومعيدين ، بحيث يعرف مدى مسئولية كل من هذه الأعمال وواجباتها وحقوق شاغليها وواجباتهم .

١٤ — تحديد مواصفات رجال الجامعة وطرق اختيارهم .

بعد أن تحدد وظيفة كل رجال الجامعة —كبار الإداريين والأكاديميين— ومسئولية وواجب كل فرد منهم ، فان المواصفات اللازمة فى الأشخاص الذين يقومون بكل عمل من هذه الأعمال يجب أن تعرف بوضوح وبغير لبس أو غموض ، وعلى أساس هذه التعاريف الواضحة والمواصفات الشاملة ، تحدد الطريقة أو الطرق التى يتم بها اختيار كل من هؤلاء الأفراد بحيث يراعى المحافظة على جميع المبادىء المذكورة فى هذه الأسس .

١٥ — الأكاديميون والوظائف الإدارية :

فى شغل الأكاديميين للوظائف الإدارية تراعى النقطتان التاليتان :

ا — مؤهلات مزدوجة :

ولو أن كبار الإداريين هم رؤساء فى الأعمال الإدارية كما هو مفهوم فى أى عمل ، فإنهم فى الواقع يعملون كقادة مجموعات group leaders لزملائهم

الأكاديميين يتولون قيادة هذه المجموعة من الأساتذة لتحقيق أغراض الجامعة وتأدية وظائفها والوفاء برسالتها، لذا وجب أن تكون لهم المؤهلات المزدوجة: القدرة على إدارة العمل بالنسبة للإدارة عامة وكذلك العمل فى تناسق وتعاون مع زملائهم الأكاديميين فى وضع وتحقيق السياسة الأكاديمية للجامعة .

ب — شغل مؤقت :

الأكاديميون الذين يشغلون وظائف إدارية يجب أن يكون شغلهم لهذه الوظائف موقوتا وليس دائماً ، حتى يتصف نشاطهم الأكاديمى بالاستمرار وحتى لا يؤدى هذا الاستمرار إلى تحكم وتسلط يقترنان بالبعد عن التفكير العلمى فتكون نتيجته التأخر والتدهور .

١٦ — المجالس واللجان

بعد أن يتم تحديد وظيفة كل عضو فى الجامعة ومواصفاته وحقوقه وواجباته يمكن أن يحدد ويعرف تكوين المجالس واللجان التى تقوم بفحص وتسيير أمور الجامعة التى تحتاج إلى قرارات جماعية سواء كانت عضويتها بحكم الوظيفة أو بالاختيار (الانتخاب أو خلافه) لمدة معينة .

١٧ — لجنة الأكاديميين :

لما كان الأكاديميون سيعملون سوياً ومع كبار الإداريين فى وضع وتنفيذ السياسة الأكاديمية وغيرها من الأمور فلابد وانه سيحدث خلافات بين هؤلاء الزملاء ، ولأن العلاقة بينهم هى علاقة زمالة على مختلف درجاتهم ، فوجود لجنة تتكون من بضعة من الأكاديميين تنتخب بحيث تمثل مختلف درجاتهم الوظيفية ومعظم نواحى الدراسة يمكن أن تحل الكثير من المشاكل بعيداً عن الرسميات أو حتى إذا فشلت الطرق الرسمية المعتادة.

١٨ — تمثيل آراء جميع الأساتذة بمختلف درجاتهم الوظيفة :

لما كانت الجامعة هى الأساتذة (بمختلف درجاتهم الوظيفية) لزم أن يكون هناك نظام يكفل التعبير عن آراء هؤلاء الأساتذة (بجميع درجاتهم الوظيفية) فى جميع الأمور خاصة الأكاديمية منها وبصورة مباشرة بواسطة أعضاء يمثلون الدرجات الوظيفية فى جميع المجالس التى تسير دفة الأمور الأمور فى الجامعة — على أن تحدد الطريقة التى يتم بها اختيار الممثلين لمختلف الدرجات الوظيفية (بالانتخاب أو خلافه) — بحيث يشعر الجميع بأنهم ينتمون إلى مجتمع أكاديمى يعمل على أساس ديموقراطى .

١٩ — العدل وتكافؤ الفرص :

يجب أن تكون الدخول — من مهايا وخلافه — التى يتحصل عليها جميع الأساتذة (بالمعنى الحقيقى وليس بالمعنى الوظيفى) متساوية ، مثلما أن حقوقهم وواجباتهم ومسئولياتهم متساوية ، وأن تكون فرص الترقى أمامهم جميعاً واحدة ومتساوية لأنهم جميعاً خلقوا متساوين كما أن جميع فروع العلم والمعرفة التى يتخصصون فيها ويخدموها بالدرس والبحث متساوية .

٢٠ — الجزاء الحق :

على قدر العمل يكون الجزاء وبقدر الواجبات تكون الحقوق ، العين بالعين والسن بالسن . فاذا كان العمل الجامعى هو العمل الذى يمد المجتمع باحتياجه ويحقق لأفراد الشعب رغباته ، بجانب خدمة العلم والمعرفة ، واستلزم ذلك أن يكون الأفراد الذين يقومون به هم الصفوة الممتازة والنخبة المختارة تلقى عليها هذه التبعات الجسيمة وهذه المسئوليات الضخمة فلابد وأن تقابل هذه الواجبات والمسئوليات بحقوق يعبر عنها بطريقة معنوية وفى صورة مادية ، فاذا كانت

الجامعة هى التى تمد الشعب بقضاته ، ومهندسيه ، ومدرسيه و ضباطه ومديرى شركاته وغيرهم فلا يمكن أن يستقيم الحال إذا ما زاد الفرع على الأصل فى الحقوق مادية كانت أو معنوية ، بل يجب دائماً الاعتراف بالفضل للأصل .

٢١ — المنطق والموضوعية فى تصرفات الجامعة :

يجب أن تتصف الجامعة فى جميع تصرفاتها ليس فقط بالنسبة لرجالها بل أيضاً بالنسبة لطلابها سواء فى قبولهم أو فى منحها أياهم للدرجات العلمية بالعدل والمنطق والموضوعية ، وان تكون كل هذه الصفات رائدها دائماً بحيث تكون واضحة غاية الوضوح ، جلية تماماً لكل شخص .

٢٢ — الطلبـــــة :

كما أن لكل شخص ذى قدرة على متابعة الدراسة الجامعية حق الالتحاق بها فإن عليه واجباً أن يكون جاداً فى هذه الدراسة فإذا اتضح فى أى وقت عدم جديته فى الدراسة أو عدم استطاعته السير فيها ومتابعتها ، فإنه يكون فى هذه الحالة قد استنفذ حقه وأخل بواجبه ، ويكون واجباً على الجامعة — تجاه هذا الطالب وتجاه البيئة والمجتمع — أن توجهه لأى عمل آخر يصلح له ، وأن تخلى مكانه فى الجامعة حتى يمكن لغيره أن يستفيد منه .

٢٣ — الجامعة وحدة اجتماعية :

الجامعة وحدة اجتماعية وليست فقط مكانا لتلقى الدرس أو القيام بالبحث فيجب أن يكون للجامعة دخل فى كيفية معيشة الطلبة وفى الكيفية التى يكتسبون بها العادات المختلفة وبالنسبة للطلبة الذين يقطنون مبانى ومساكن خارج المدن الجامعية تبتدىء هذه الوظيفة بالإشراف على المساكن التى يقطن فيها الطلبة ، ويكون للجامعة الحق فى اعطاء التصريح أو رفضه بالنسبة لسكن الطلبة فى منازل معينة خارج الجامعة .

ويمكن للجامعة عن طريق التنظيمات المختلفة العمل على أن يكتسب الطلبة أحسن العادات الاجتماعية .

٢٤ — الاختيار والحرية للطلبة :

ولو أن الطالب يلتحق بالجامعة لدراسة نوع معين من المعرفة إلا أنه يجب أن يشعر بأنه التحق بالجامعة ككل وكوحدة وليس بناحية أو جزء منها فقط ، كذلك يجب أن يشعر الطالب أن رغبته واستعداده فقط هما العاملان اللذان حددا إمكانية متابعته هذه الدراسة . كما يجب أن تكون البرامج الدراسية بحيث يمكنه ممارسة الحرية والتمرن على اتخاذ القرارات وتحمل المسئولية ، وذلك باعطائه فرصة اختيار بعض مواد هذه الدراسة .

٢٥ — الدراسات العالية Graduate studies

الدراسات العالية امتداد طبيعي للدراسة للدرجة الجامعية الأولى (الليسانس أو البكالوريوس) وهى الطريق لتمرين أساتذة وعلماء المستقبل لذا وجب أن يتابعها من هو أهل للقيام بهذه الرسالة ، وأن يراعى فى تحقيقها الإمتياز فى الأشخاص الذين يقومون بهذه الدراسة وفيما يؤدونه من أعمال .

٢٦ — الإمتحانات :

الامتحانات جزء متمم لدراسة مادة معينة . أما أنها تعمل كطريقة لتقييم الطالب ومقدار استيعابه فهذا غرض ثانوى ،وعلى هذا فالأستاذ الذى يدرس مادة معينة يترك له طريقة القيام بهذه الإمتحانات ، ويقوم بابلاغ الادارة المختصة بنتائجها .

٢٧ — المكتبة والمتاحف :

مكتبة الجامعة ومتاحفها من وسائل نشرها للعلم والمعرفة والإضافة إليها فيجب أن تحتوى على الحديث والتليد ، على القديم والجديد ، على المخطوط

والمطبوع بجميع اللغات ومرتبة بطريقة يمكن الاستفادة منها والرجوع إليها فى أقصر وقت ممكن .

٢٨ — أجهزة الجامعة :

الجامعة تستعين بأحدث الأجهزة والمخترعات لتحقيق أغراضها والقيام برسالتها ، ولا يرجع ذلك إلى الأجهزة العلمية فقط ، بل أيضاً يعنى مطبعة حديثة ومحطة راديو وتليفزيون وأى تسهيلات أخرى تحقق رسالتها بالنسبة للمعرفة وتخدم أغراضها ووظائفها بالنسبة للمجتمع .

٢٩ — الجهاز الإدارى :

يجب أن يكون جميع أفراد الجهـــاز الإدارى فى الجامعة تابعين لها ولها مطلق الحرية فى الإشراف عليهم وعلى أعمالهم ، ولا يرجع ذلك فقط لضرورة هذه التبعية المطلقة لحسن سير العمل فى الجامعة بل أيضاً لأن هذه التبعية هى أساس لابد منه ومظهر لا ينفصل عن استقلال الجامعة .

ويجب أن يكون هذا الجهاز ذا كفاءة عالية وعليه أن يكون متفهما للجامعة عارفا لرسالتها ، لأنه كما أن الجيش لا يدافع عن الوطن إلا إذا تفهمه وعرف فضله عليه ، فكذلك الجهاز الإدارى للجامعة لا يمكن أن يخدمها بكفاءة وإخلاص إلا إذا عرف ما هى الجامعة وفهم ما هى رسالتها .

وإذا كان الغرض من التنظيمات الجامعية تسهيل تحقيق أهداف الجامعة ورسالتها . فالحكم على هذه التنظيمات — وأيضاً على أية تصرفات سواء كانت من الجامعة ورجالها أو من السلطات الخارجية والأفراد غير الجامعيين — محكه الأول والأخير ، يكون فى ضوء النقاط الست التى ذكرت فى مبدأ هذا الفصل والتى لخصت ماهية الجامعة وماهية رسالتها وماهية مسئولياتها وضماناتها وواجباتها .

الجامعات المصرية

قد يعن للقارىء ويحلو له أن يطبق المواصفات التى استشفها من قراءته للفصول السابقة ، والأبعاد والأغوار التى استشعرها للجامعة والمقاييس التى لها على جامعاتنا المصرية أو على أى جامعة أخرى عربية أو أجنبية . ولكن لكى يكون التطبيق منطقياً ، والقياس غير متحيز والحكم موضوعياً يجب ملاحظة أمرين أولهما يتعلق بالمكان وثانيهما بالزمان .

فالجامعة ولو أنها طليعة المجتمع – أو على الأحرى لأنها كذلك – فهى ولابد مندمجة فيه . وهى إذا كانت تؤثر فيه فلابد وأنها تتأثر به . وهى إذا كانت لأبنـــائه رائدة فهى لآرائهم وخصالهم وصفاتهم ومميزاتهم عاكسة ، ولأن المجتمعات قوى ديناميكية تتأثر بالمكان وتختلف من زمان لزمان ، كان لابد وأن تراعى هذه الخواص فى فحص أمور جامعة ما أو فى اصدار الحكم عليها إذا أريد أن يكون حكماً عادلا غير متحيز .

وبالنسبة لجامعاتنا المصرية نجد أن أقدمها – باستثناء الجامعـة الأزهرية التى لها ظروفها الخاصة – تبلغ من العمر حوالى نصف قرن وهى مدة فى حياة الجامعات تجعلها ما زالت فى طور تتطلع فيه إلى حيوية الشباب ، وتتمتع فيه بأمل بلوغ فتوته . ولكن نجد أنه بالرغم من هذا العمر القصير فإن الجامعة المصرية نمت من كليات لدراسات محدودة إلى أربع جامعات تهتم – تدريساً وبحثاً – بالكثير من فروع المعرفة . بل أن هذه الجامعات لها فروع أخرى واتصالات أكاديمية كثيرة فمثلا لجـــامعة القـــاهرة فرع فى الخرطوم كما لها كليـــة طب جديدة فى المنصورة ، وجامعة الاسكندرية لها فرع فى طنطا واتصال أكاديمى وثيق بالجامعة العربية الأهلية فى بيروت . وغير

هذا فان الجامعة — الجامعات الأربع — قد ساعدت الكثير من الجامعات فى البلاد العربية الأخرى وأخذت بيدها بأكثر من طريقة ليس أقلها اعارتها لأساتذتها .

كذلك نجد أن جامعة أسيوط وهى أفتى هذه الجامعات وأحدثها سنا قد أخذت بنظام القسم كوحدة وهو خطوة نحو الوفر المادى والنفع العلمى كما سبق أن بينا .

كذلك فى خلال حياة الجامعة المصرية شهدت مصر أحداثاً جلالا . فنضال وثورات ، وكفاح وقتال ، كانت الجامعة — كهيئة وكأفراد — فيها جميعاً مشاركة ولنداء الواجب ملبية بل به مبتدأة وله قائدة .

ثم كان لأبنائها من خريجيها شرف المشاركة فى نهضتها الحديثة وفى خططها الخمسية وغير الخمسية فشاركوا فيها جميعاً دراسة وتطبيقاً ، بحثاً وتنفيذاً سواء كان ذلك فى الحقل الزراعى ، أو فى المجال الهندسى ، أو فى الوسط الصناعى أو المحيط الاقتصادى . وشهد لهم الجميع بالكفاءة وبالاخلاص وبالاتقان .

كذلك فإن أساتذة الجامعة ما استشيروا فى أى موضوع أو أخذ رأيهم فى أى مشروع إلا وكانوا مسارعين برأيهم الفنى ، مضحين بوقتهم وباذلين لجهودهم .

والجامعة تعمل ليلا ونهاراً لكى تستوعب من أبناء هذا البلد الأمين العدد الأكبر ، ولكى توفر لهم من التعليم والمعرفة القدر الأوفر .

وينال أساتذة الجامعة ، كما ينال خريجوها التقدير فى الأوساط الجامعية

الأجنبية بل إنهم فى كثير من الأحيان يبزون أبناء هذه الأوساط علماً ، ويتفوقون عليهم انتاجاً ، وذلك بالرغم من قسوة الظروف فى الجامعات المصرية عنه فى الجامعات الأجنبية كما يبين ذلك الجدول الآتى للحالة فى كل من الجامعات المصرية والبريطانية فى ١٩٦٢/١٩٦٣ ، علماً بأن الجامعات فى بلاد أخرى كالاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة أحسن حالا من الجامعات البريطانية كما يتضح من الدراسات المنشورة مثل الدراسة التى قام بها الدكتور لويس عوض (١) .

	ميزانية	أساتذة	طلبة	طالب لكل أستاذ	جنيه لكل أستاذ	جنيه لكل طالب
الجامعات المصرية(١)	جنيه مصرى ١٤١٤٣٤٠٠	٣٩٠٦	٩٨٦٨٤	٢٢,٩	٣٦٠٣	١٤٣,٣
الجامعات البريطانية	جنيه استرلينى (٢) ١٢٩١٠٠٠٠٠	١٥٧٦٤(٣)	١١٨٤٠٤(٣)	٧,٥(٣)	٨١٨٩,٤٨	١٠٩٠,٣٣

(١) معلومات الجامعات المصرية مستقاه ومحسوبة من كتاب وزارة التعليم العالى : التعليم العالى فى ١٢ سنة—٦٤

(٢) الملحق الرابع لتقرير روبنز — جدول ٢ ص ١٠٠.

(٣) الملحق الرابع لتقرير روبنز — جدول ١ ص ٤ .

وبفحص الجدول يتضح أن نسبة الطلبة إلى الأساتذة فى الجامعات المصرية تبلغ ثلاثة أمثالها فى الجامعات البريطانية تقريباً ، وبالرغم عن هذا العمل المضاعف بالنسبة للأساتذة فى الجامعات المصرية فإن مقدار ما يصرف على مختلف أوجه النشاط الجامعى من إقامة أبنية إلى أبحاث إلى مهايا وخلافه يبلغ بالنسبة لكل أستاذ أكثر من الضعف فى الجامعات البريطانية عنه فى الجامعة المصرية أما الحال بالنسبة لما يخص الطالب الواحد من ميزانية مصروفات الجامعات البريطانية فى نفس السنة فيبلغ أكثر من سبعة أمثال ما يخص نظيره فى الجامعات المصرية ...

(١) لويس عوض — الجامعة والمجتمع الجديد — الدار القومية للطباعة والنشر.

كذلك نجد أن مقدار عمل رجال الجامعات فى الجامعات البريطانية (١) بين التدريس والتحضير له وتصحيح الأوراق والتقارير والأبحاث والأعمال الإدارية وحضور اللجان وخلافه يتراوح بين ٣٨ — ٤٢ ساعة أسبوعياً ، متوسط ٤٠,٥ ساعة فى الأسبوع ، ولو أجريت دراسة عن عدد الساعات المناظرة فى جامعاتنا لعقدت الدهشة الألسنة .

ولقد نسمع أحيانا عن تصرف ناب أو عمل خارج من أحد رجال الجامعة كأن يقال أن أحدهم يمضى من الوقت فى قسمه أقل ما يمضيه متنقلا من جامعة إلى أخرى ، أو من لجنة إلى أخرى ، وهو قد يضطر إلى ذلك اضطراراً — بسبب عدم وجود متخصص غيره — أو قد نسمع عن الأستاذ الذى يدعى العلم فى كل شىء ، حتى لقد سمعنا — غفرانك ربى — بأنه يتصرف وكأن كرسيه وسع السماوات والأرض . ولكن هل سمعنا عن زميله الذى يأبى الا أن يعمل إلا فى تخصصه مضحياً بأى نفع مادى أو معنوى أو عن الآخر الذى يكاد يعيش على شظف من العيش ويأبى إلا أن تحل مشاكله داخل الجامعة دون أى تدخل خارجى حفظاً للجامعة على استقلالها ولرجال الجامعة على كرامتهم . وقد تسمع عن الطالب الذى حاول الغش أو الذى مد يده إلى ما يملكه زميل له . ولكن هل سمعت عن الطالب الذى يمضى ليله فى معمله رغبة فى التجربة واستزادة من العلم ، أو الطالب الذى يشترى من مصروفه الخاص المواد التى يحتاجها فى تجربته .

---

(1) Teachers in Higher Education, Robbins Report, Appendix 3 Tables 60 and 61 pp. 56 — 57.

إنك سمعت عن الأول فى كل حالة . ولم تسمع عن الثانى سمعت عن السىء ولم تسمع عن الحسن ، سمعت عن الردىء ولم تسمع عن الطيب ، فتلك هى العادة تلوك الألسنة سيرة المسىء وتتحاشى الكلام عن المحسن ، يتناقل الناس أخبار المتطرف فى الرذيلة وقد يتجاهلون من يكثر من الفضيلة ، تتناول الأخبار سيرة صاحب السوء ، وتهمل ذا الفضل ، وكما أننا نمج الأول ونمجد الثانى ، وننهر المسىء ونشجع المجيد ونرجو ألا يكون من الأول كثير أو قليل ، فإننا يجب ألا نتوقع أن يكون من الثانى الا القليل ، لأن هذا هو التوزيع الطبيعى لكل مجتمع وأى مجموعة ، التطرف فيها سوءاً أو جودة قليل ، شراً أو خيراً نادر ويتوسط هذا التوزيع الأكثرية الغالبية وكلما ارتفع مستوى أعمال هذه الأغلبية أو متوسطها وتقارب أفرادها فى قيمهم وقيمتهم كلما كان ذلك أفضل وأحسن . فالعبرة إذا بهذا العدد الكبير الذى يحتل من هذا التوزيع أواسطه والذى يمثل الغالبية العظمى فيه ، محدداً قيمه ومعرفاً لمستوياته ، لا النادر الذى يقع على أطرافه يساراً أو يميناً .

هذا بالنسبة لمجتمع أو لمجموعة فى حاضرها ، أما مستقبلها فالغلبة فيه للأصلح والإندثار فيه للسىء ، البناء فيه للأكثر إمتيازاً ، والهزيمة فيه للأقل جودة ، طالما أتيحت للامتياز والجودة والخير الظروف[1] المناسبة ، واعطيت لهذه الخواص المرغوبة الفرصة اللازمة . وهذه هى وظيفة المجتمع الذى يضم هذه المجموعة ، وهذا هو واجب اعضائه . فالنظام والتنظيم يجب أن يكون بحيث يحمى الغالبية العظمى التى تقع فى أواسط أى مجموعة ، ويثبط إن لم يمنع المسىء ، ويشجع الذى يحسن عمله .

انه بعد هذا الاستعراض السريع يشعر المرء بالفخر والشكر، بالسمو والإمتنان ، بالعلو والعرفان ، بالفخر لأنه ينتسب إلى شعب هذه هى جامعاته وهؤلاء هم رجالها ، وبالشكر من الجامعة ورجالها لأفراد هذا الشعب ومجموعه الذين لم يضنوا على الجامعة بالتأييد المادى والأدبى والمعنوى ، بالسمو للانتساب لهذه الجامعة طلبة وأساتذة ، وبالامتنان لشعب جعل من جامعاته وتعليمه فرصاً لأبنائه يأخذ كل منهم بقدر ما يتمتع به من حب للعلم والمعرفة ورغبة فى تحصيلها وخدمتها ، بالعلو والعرفان لأن الجامعة كطليعة والجامعة كرائدة والجامعة كقائدة هى للشعب خادمة ولرغبات أفراده ملبية ولأهدافه منفذة .

ولكن لا الشكر ولا الفخر ، لا السمو ولا الامتنان ، لا العلو ولا العرفان ، يجب أن يمنع المجتمع والجامعة ، أبناء الشعب ورجال الجامعة من أن يتأكدوا من أن فعاليات الجامعة كلها مستخدمة ، وأن الامكانيات كلها فى متناولها فى حدود الطاقات التى يمكن للشعب وللمجتمع أن يهيئها للجامعة ورجالها . وكثير من هذه الإمكانيات التى يجب أن تترجمها الجامعة إلى ، ويجعل منها رجالها — فعاليات ، هى امكانيات لا تتطلب من الشعب مادة أو مالا ، ولا تحتاج من المجتمع إلا إلى نظام وتنظيم يضع أسس الجامعة — كما سبق بيانها — موضع التنفيذ ، ويحلها محلا للاعتبار .

ويزداد أهمية الدور الذى يقع على الجامعة عبء القيام به كلما ازدادت أهمية الطور الذى يمر به المجتمع ، لذا وجب على المجتمع العربى المصرى وعلى رجال جامعاته أن يتكاتفوا ويتساندوا وأن يعملوا — بل أن يسرعوا فى أن

بجعلوا من هذه الجامعات كائنات ذات فعاليات وامكانيات حركية تعمل جادة فى تحقيق رسالة الجامعة فى هذا المجتمع وتجاه العلم والمعرفة عامة . وقد يتضح من المناقشة السابقة أنه لكى يمكن لهذه الرسالة النبيلة أن تتحقق وجب أن يكون هناك :

١ — تحديد لاحتياجات المجتمع وأغراضه وأهدافه خاصة تلك التى يحتاج فيها إلى خدمات الجامعة وإلى وسائلها ودراساتها .

٢ — استقلال للجامعة — كل على حدة — وللأستاذ الجامعى يضمنه الدستور وتحققه القوانين واللوائح وتعمل به التقاليد .

٣ — تعاون وثيق وتنسيق بين الجامعات لا يخل باستقلال كل جامعة ولا يجعل منها نسخاً ممسوخة .

وإذا لزم الوقت والدقة فى تحقيق الأمر الأول فان الثانى — استقلال الجامعة والأساتذة وحريتهم — لا تحمل تأخير ولا تسويف ، لأن الاستقلال والحرية للجامعة هما ألزم لها من الهواء والماء للكائن الحى ، لأنه — كما سبق ذكره — الحرية للجامعة هى الحياة والإستقلال لها هو الكيان ، وبدونهما لا يمكن أن تتكون للجامعة شخصيتها ، أى لا يمكن أن تكون هناك جامعة ، بالتعريف والمعنى الذى اتضح من المناقشات السابقة ، كذلك فإن استقلال الأستاذ الجامعى وحريته ، فى تدريسه وبحثه ليس من كماليات النظام الجامعى ولكنهما من أساسياته ليس فقط لأن الجامعة أساتذة ومجموع الأساتذة يكون الجامعة ويؤثر فيها أكثر من أى عامل آخر فإذا انتقص من الاستقلال أو الحرية الأكاديمية لأى أستاذ أنعكس ذلك على حرية واستقلال الجامعة .

بل أيضاً لأن الحرية والاستقلال للأستاذ الجامعى هما أساس فرديته الخلاقة وهى أهم عامل يجعله منتجاً فى ناحيتى عمله: التدريس وما ينتجه من مهنيين مثقفين ومواطنين صالحين وكذلك بحوثه وما ينتجه فيها من أفكار وآراء تمد حدود المعرفة وتعود بالنفع من استخداماتها وتطبيقاتها .

أما التعاون والتنسيق بين الجامعات فليس من الواجب فقط ألا يتعارض مع استقلال كل جامعة بل يجب أن ينبع من هذا الإستقلال وأن يقتصر على الأمور العريضة . كأن تتفق الجامعات على طريقة ومستوى قبول الطلبة ، وعلى القدر من التراث الثقافى الانسانى والوطنى الذى يلزم أن يحصل عليه كل طالب جامعى فى المجتمع العربى المصرى ، تزيد عليه كل جامعة بالقدر الذى تعتقد أنه لازم لبيئتها المحددة ولدراساتها الخاصة ، وكأن تتفق على المساواة فى دخول الأساتذة وتعيينهم وفرص ترقيتهم — دون تدخل فى هذا التعيين أو الترقى نفسه — حتى تتحقق المساواة بينهم جميعاً فى جميع الجامعات وفى جميع فروع العلم والمعرفة وحتى لا تكون هناك مزايدات غير مرغوبة ، بل فقط تنافس علمى شريف .

وكأن تتفق الجامعات على التعاون فى مجال دراسة باهظة التكاليف ، كإنشاء مفاعل ذرى أو تتفق على نوع من الدراسة لا يكون هناك أى داع لتكراره فى الجامعات كلها .

ومن أهم الأمور التى يجب أن يوضع لها نظام ثابت هو تمويل الجامعة بحيث يضمن النظام الذى يوضع عدم استخدام العصا المالية على الجامعة أو أن

تستعمل فى التأثير عليها والنيل من استقلالها ، وكذلك بحيث يضمن هذا النظام استمرار هذا التمـويل على عدد من السنين نظراً لأهمية ذلك بالنسبة للدراسة والتدريس والبحوث فى الجامعة .

أما التنظيمات الأخرى فيمكن لكل جامعة أن تقوم بوضعها مراعية الأسس المتفق عليها بحيث تلاءم أحوالها وتساعدها على تحقيق أهدافها وخدمة مجتمعها والوفاء برسالتها ، وبذا تصبغها هذه الأمور جميعاً بالصفات التى تميزها عن زميلاتها ، وبالمزايا التى تشخصها عن غيرها ، وبالشخصية التى تبرزها بين اندادها .

والجامعة أشبه ما تكون بالكائن الحى يكون على أحسن حال ، ويكون انتاجه على أعلى مستوى تحت الظروف المثلى ، فكذلك الجامعة تكون فى اكتمالها وكمالها وتؤدى خدماتها وتحقق أهدافها وتقوم برسالتها إذا توفرت لها الظروف المثلى ، فاذا اختل أحد هذه الظروف بحيث يبعده هذا الاختلال عن كونه أمثل تأثرت الجامعة وتأثر عملها بمثل ما يتأثر به عمل الكائن الحى ، والكائن الحى يكيف نفسه إذا ما كان الاختلال بسيطاً بحيث يستمر فى أداء عمله وإن تأثر وبحيث يقوم بوظائفه وان لم يكن ذلك على الوجه الأكمل ، وكذلك الجامعة إذا اختل أحد ظروفها فهى تكيف نفسها وان تأثرت وظائفها وهى تعدل من عملها وان تأخرت رسالتها ، ومقدار التأثير والتأخير يتوقف – تماماً كالكائن الحى – على مقدار الاختلال ، فالانسان مثلا يستطيع أن يقاوم اختلاف درجات الحرارة إذا كان مداها بسيطاً أو لمدة قصيرة أما إذا كان الاختلاف كبيراً ارتفاعاً أو انخفاضاً ، أو كان لمدة طويلة

دون اتخاذ الاحتياطات اللازمة فقد يصاب بالاعياء أو الإغماء أو تتجمد أطرافه أو جسمه كله تبعاً لاختلاف درجة الحرارة ومقداره ، ارتفاعا أو انخفاضا عن الدرجة المثلى . وكذلك الجامعة إذا اختل أحد أنظمتها أو بعدت بعض ظروفها عن الظروف المثلى أو غاب أحد أركانها تأثرت هدفاً وعملا ، وظيفة ورسالة ، وأصابها الشلل أو التجمد ، الأعياء أو الإندثار تبعاً لنوع الخلل ولمقدار الاختلال .

فلتكن الجامعة قوية بأساتذتها ، متقدمة فى فكرها ، نافذة البصيرة ، متماسكة الوحدة ، سابغة المعرفة ، غزيرة العلم ، استقلالها مصان ، وحريتها وافرة ، أجهزتها موفورة ، وتجهيزها كامل ، نظمها عادلة وتنظيمها شامل ، تصرفاتها منطقية ، وضماناتها مكفولة ، حتى تكون السراج المنير والنور الهادى فى الأخذ من تراث الماضى لبناء حضارة المستقبل ، فى استعمال ميراث السلف لخدمة الخلف ، فى الاستفادة من أعمال السابقين لمنفعة اللاحقين فى الاسترشاد بخبرة الأجداد فى رسم خطط الأحفاد ، لخدمة المجتمع والانسان، لدراسة العلم وتدريسه ، لنشر المعرفة والإضافة إليها ، وعموماً لمواصلة تقدم ركب الحضارة ، وانتشار المدنية .

ولنقتد بمثل ضربه الله عز وجل إذ كان أول بعثه لحامل رسالته أن أنزل عليه فى مبدأ كتابه الكريم أمراً بالتعلم والتعليم (١) ، إذ نزل الوحى على نبيه عليه الصلوات والسلام بالآيات البينات : « إقرأ باسم ربك الذى خلق(١) خلق الانسان من علق (٢) إقرأ وربك الأكرم (٣) الذى علم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم (٥)(٢) » ، ولما اتبع الأولون قوله سبحانه وتعالى « إن

---

(١) تفسير الطبرى — المرجع السابق (٢) سورة العلق

الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »(٢) كان آخر ما نزل من كتابه الحكيم : « إذا جاء نصر الله والفتح(١) ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا(٢) فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا (٣)»(٣) . صدق الله العظيم .

---

(١) ١٣ الرعد ١١

(٢) ١١٠ النصر

مثال لتحقيق رسالة جامعة

جامعة الاسكندرية

اسم علم ، للعلم ، للحضارة ، للفكر ، للثقافة ، للمعرفة السابغة للتراث الانسانى

ذلك أن التأريخ لجامعة الاسكندرية يصاحب تاريخ المدينة التى سميت باسمها عند انشائها . فإذا كان الإسكندر الأكبر قد أرسى أساس الإسكندرية فى طوبة عام ٣٣١ ق.م.(١) فإن انشاء جامعة الإسكندرية ومكتبتها (٢) « اللتين أثارتا اهتمام العالم كمركز للاشعاع الثقافى فى العصر القديم » . « وكان فى أواخر عهد بطليموس الأول (سوتر) وبداية عهد خلفه بطليموس فيلادلفوس فى الفترة الواقعة بين عامى ٢٢٨ ق.م. — ٢٨٠ ق.م. » ... وقد بلغ عدد أعضاء الجامعة فى احدى فترات العصر الذهبى لحكم البطالمة نحو مائة مفكر » ... « وطريقة هؤلاء العلماء كانت تتخذ شكل مناقشات أو ندوات فى شتى مناحى العلم والفكر ، يشتركون فيها فى مجموعات متعددة ويدونون بعدها النتائج التى وصلوا إليها » ... « ولا يزال قدر غير قليل من المعلومات التى وصلوا إليها يتخذ سمة الحقائق الثابتة التى بدأ منها العلم الحديث تطوره فى أكثر من ميدان».. « ومن هؤلاء هيروفيلوس الجراح الذى كان أول من كون فكرة علمية واضحة عن الجهاز العصبى » ، « بوكليديس الذى عرفه العرب باسم اقليدس الرياضى ، وهو مؤلف كتاب العناصر الذى عالج فيه النظريات

(١) دكتور محمد عواد حسين : فى مقدمة — تخطيط المدينة ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور — محافظة الاسكندرية ١٩٦٣ م

(٢) دكتور لطفى عبد الوهاب — الاسكندرية فى عهد البطالمة ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور — محافظة الاسكندرية ١٩٦٣م

الهندسية » ومنهم « هيبارخوس أعظم علماء الفلك فى العصر القديم ، وقد كان أول من حدد الإعتدالين الربيعى والخريفى بصفة علمية ، كما قدر حجم الشمس والقمر وأبعادهما ووضع قائمة بأسماء النجوم المعروفة » ومنهم « أراتو سيثنيس أو أراقسطين الجغرافى الذى قدر محيط الكرة الأرضية » ومنهم « أرخميدس « Archimides » العالم الطبيعى صاحب النظرية المشهورة فى الكثافة النوعية » .

« أما المكتبة التى كانت تغذى هذه الجامعة فلم تكن أقل منها شأناً ، بل لعل شهرة مكتبة الإسكندرية قد طغت بعض الشىء على شهرة الجامعة » ... « إن مكتبة الإسكندرية كانت أول مكتبة عامة تملكها الدولة فى العالم القديم ».:. « وقد ضمت المكتبة أكبر عدد من المجلدات أو اللفائف المكتوبة « Biblia » عرفته مكتبة واحدة فى العالم القديم . فقد بلغ هذا العدد عند مجىء قيصر إلى مصر نحو سبعمائة ألف لفافة أضافت إليه كليوباترا السابعة نحو مائتى ألف لفافة أخرى » ... « إن ثروة مكتبة جامعة الإسكندرية القديمة كانت تبلغ ما يقرب من ٢٨ ألف مجلد حديث، وهذا أكثر مما تضمه مكتبة جامعة الاسكندرية الحالية بما يزيد عن ١٥ ألف مجلد » .

« ورفعت من قيمة » مكتبة الاسكندرية « سلسلة من الأمناء الذين عهد إليهم بالاشراف عليها ، كانوا أبعد ما يكون عن الموظفين الذين يقتصر دورهم على العمل الإدارى الروتينى ممن تعرفهم مكتباتنا الحديثة ، وإنما كانوا بحق سلسلة من العلماء برز كل منهم فى ميدانه كأروع ما يكون التبريز . إلى جانب كونهم مربين من الطراز الأول » .

إذا كان هذا هو تاريخ هذه الجامعة فهلا وجب علينا أن نأخذ بتلابيب الجد ونخطط للنهضة بجامعة الإسكندرية المعاصرة ، ليس فقط لكى تحيي

الجامعة الحفيدة تلد الجامعة الجدة ولكن أيضاً لأن هذا هو الطريق للمشاركة في النهضة بالوطن من نكسته ولنشل البلاد من وطأتها . ولیكن إقرار وزير التعليم العالى والمجلس الأعلى للجامعات فى جلسات يونيو ١٩٧٢ للمبادىء التى نادى بها أعضاء هيئات التدريس (١) فى الجامعات الأربع نقطة انطلاق لكل جامعة لكى تخدم وطنها وبيئتها ومجتمعها ، فتميز نفسها بتحقيق رسالتها فتتضح شخصيتها .

ولعل فى استعراض بعض ما كتبه المهتمون بالتعليم عامة وخاصة بالتعليم الجامعى فى مصر فائدة فى رسم تخطيط جديد يتحاشى ما قد يكون هناك من عثرات و يتجنب ما سبق من أخطاء وينشد الاصلاح ويستهدف الكمال.

ولعل من الموفق أن نبتدىء برجاء توجه به رئيس تحرير مجلة الفكر المعاصر (٣) فى تصديره لعدد خاص من هذه المجلة عن مشكلات التعليم بـ« لا ينظر أحد من المسئولين عن التعليم .. إلى الانتقادات التى توجه إلى أوضاع التعليم المختلفة ... على أنها انتقادات موجهة إلى شخصه أو أشخاص المحيطين به » ... لأن الغرض هو « معاونته على تحقيق الهدف الأكبر الذى لا يمكن أن نختلف عليه لحظة واحدة ، وهو النهوض الثورى بمستوى التعليم » .

... « إننا لو حاولنا تعقب العوامل المسئولة عن تدهور التعليم لتشعبت بنا السبل رويداً رويداً حتى نجد أنفسنا آخر الأمر نواجه المجتمع ككل » .

---

(١) ومنها مشروع قانون تنظيم جامعة الاسكندرية المقترح من هيئة التدريس بها ، دار بورسعيد للطباعة ، يناير ١٩٧٢

(٢) رئيس تحرير مجلة الفكر المعاصر ، كلمة لابد أن تقال ، الفكر المعاصر ، العدد ٧٢ فبراير ١٩٧١

« هل يمكن أن يصبح التعليم عصرياً إذا لم تصبح بقية مرافق الدولة عصرية بنفس المدار ؟ هل يمكننا أن نحقق تعليما مسايراً للعصر إذا ظلت الإدارة والخدمات ، والعلاقات الاجتماعية بين الناس ، وأساليب التفكير عموماً ، غير عصرية ؟ لنفرض أننا استطعنا . بمعجزة ، أن ننقل التعليم إلى المستوى العصرى فهل يمكن أن تؤدى هذه النقلة ثمارها إذا تمت فى إطار اجتماعى غير عصرى ؟ من الواضح أن التعليم العصرى يفترض مقدماً أن يكون المجتمع عصرياً . وهنا قد تثور مشكلة أسبقية الدجاجة على البيضة أو البيضة على الدجاجة بصورة صارخة : فالتعليم العصرى هو الذى يتيح جعل المجتمع عصرياً ، ولكن لابد من جهة أخرى أن يكون المجتمع عصرياً حتى يصبح التعليم عصرياً ، وحتى يحدث هذا التعليم العصرى صداه المطلوب فى المجتمع »
« إن التعليل الحقيقى لانتشار ظاهرة الحفظ الحرفى دون قدرة على التصرف الحر هو شيوع الخضوع المفرط للسلطة فى مجالات حيوية من حياتنا (١) »

أما الدكتور أحمد فائق (٢) فيكتب « كذلك يدرك كل من مر بخبرة تعليم سليمة أن مقدرته تحدد مقدار ما يعرض عليه من علم إذا ما توفر شرطان : رغبة أكيدة فى العلم من جانبه وأستاذ يهتم بالتعليم كحرفة لا كوظيفة » ... « مراحل التعليم لدينا تعكس احتمالات الفشل فى النظام أكثر مما تعكس احتمالات النجاح ، بمعنى أنها تضع فى الاعتبار احتمال رسوب الطالب وإمكان التصرف معه دون أن تضع احتمال النجاح وما سوف يطالب به » ... « أن تحليل نظام التعليم فى مصر يكشف أنه نظام للعلم لا يقوم على علم »

---

(١) د فؤاد زكريا ، بين التعليم وقيم المجتمع ، مجلة الفكر المعاصر العدد ٧٣ مارس ١٩٧١

(٢) د احمد فائق : التعليم وعلاقته بالعقيدة السياسية ، مجلة الفكر المعاصر العدد ٧٢ فبراير ١٩٧١

أما الدكتور يحيى هريدى فيكتب (١) «لا بد لنا من القاء نظرة على مستقبل الدراسات الانسانية فى بلادنا . إذ أن هذه الدراسات تحتاج إلى تغيير جذرى . ونحن نعلم أن المهمة الكبرى التى تضطلع بها هذه الدراسات هى صقل الوعى الانسانى ، وتوضيح الرؤية الحضارية ، والتفتيش عن العلاقات الاجتماعية الجديدة ، وتعميق المفاهيم والقيم ، والإهتداء إلى الإطار الفلسفى الذى نتحرك فيه ، وربط ثقافتنا الحاضرة بتراثنا . وبعبارة أخرى ، نستطيع أن نقول أن المهمة الرئيسية لهذه الدراسات مهمة سياسية أو قومية فى المحل الأول ، وعلى المدى البعيد» ... «والحق أن مناهج هذه الدراسات والزوايا التى تتابع معها فى جامعاتنا ما زالت — بالرغم من الجهود المشكورة التى تبذل فيها — مفتقرة إلى فلسفة شاملة ونظرة عميقة موحدة ومكاشفة لا تعرف التردد» ... «إن كل تغيير فى مناهج وبرامج هذه الدراسات لا يمكن أن يتم إلا من داخل الجامعة لا من خارجها» ... «الدراسات الانسانية فى بلادنا تعانى من عيب رئيسى هو افتقارها إلى الوحدة العضوية فيما بين فروعها المختلفة . ولهذا فإنها لا تقدم لدارسيها أى نوع من الوحدة الفكرية ولا تتيح القاء نظرة شمولية على الحضارات التى يدرسونها» ... «وقد يؤدى التفكير فى تحقيق هذا الهدف إلى اتباع النظام المعمول به فى الجامعات الأمريكية والإنجليزية وهو نظام المواد الرئيسية والمواد الفرعية أو الإضافية التى من الممكن أن تضم فى مجموعات متناسقة» ... «الدراسات الأدبية والإنسانية ... ستظل متخلفة .. إذا لم تجد طريقاً أو أخرى تسمح بادخال ... دراسة الفنون وفلسفتها وتاريخها ودراسة علوم الإقتصاد والسياسة» ... «الدراسات

---

(١) د. يحيى هويدى — جامعاتنا وقضية التغيير ، مجلة الفكر المعاصر العدد ٧٣ مارس ١٩٧١

لانسانية ليست مسئولة فقط عن ترقية الذوق والوجدان وصقل الوعى الإنسانى . بل هى — وليست الدراسات فى فروع العلوم الفيزيائية أو الرياضية أو الدراسات الهندسية أو الزراعية أو الطبية — المسئولة كذلك عن خلق النظرة العلمية بين أفراد المجتمع » ... « لما كانت العلوم الإنسانية الاجتماعية علوماً سلوكية فى المحل الأول ، تتوجه بتحليلاتها إلى البشر والناس فإنها تصبح العلوم المسئولة عن نشر النظرة العلمية وإذاعتها فى المجتمع » .

أما الدكتور حسن حنفى (١) فيكتب : « تبدأ مشكلة التعليم الجامعى لدينا من التعليم العام ، وإننا لنتقبل الطلبة لدينا وهم قد قاربوا على العشرين ومازالو غير مؤهلين للعلم أو للثقافة أو للعمل الوطنى ، وكأن التعليم العام لم يؤد دوره ولم يحقق هدفه إلا فى بعض أفراد . فمثلا نجد أن مستوى الطالب فى العلوم الرياضية والطبيعية لا يؤهله كثيراً للالتحاق بالكليات العملية ، وأن مستواه فى الآداب لا يؤهله ايضاً لدخول الكليات النظرية » ... « مشكلة اللغات الأجنبية فى التعليم الجامعى تبدأ فى التعليم العام . فطالما طالبنا طلبتنا بقراءة بعض النصوص الأجنبية فلا يستطيعون حتى فك طلاسم العنوان » . ... « كثيراً ما نقاسى ونحن فى الجامعة من غياب الثقافة العامة لدى الطالب ، وكأنه ، وقد قارب العشرين ، لم يقرأ شيئاً الا الكتب المقررة ، وعبثاً نحاول توجيهه إلى القراءة ، أو إلى ارتياد المكتبات فنقوم بالمستحيل ، مع أن الأفكار لا تأتى إلا فى سن الشباب » ... « الطالب أتى الجامعة وليس لديه احساس كبير بالثقافة الوطنية ، من هو ؟ .. وإلى أى جماعة ينتمى ؟ وما هو هدفه ؟ وما هى رسالته ؟ فإذا كان طالباً فى العلوم ، فإنه لا يدرى كثيراً

---

(١) د. حسن حنفى : رسالة الجامعة: الفكر المعاصر العدد ٧٣ مارس ١٩٧١

عن المشاكل العلمية لبيئته فيما يتعلق بالصحة أو الصناعة أو الزراعة . وإذا كان طالباً فى الآداب فإنه لم يسمع عن الأدباء المعاصرين له » .

« العلم الوطنى فى بلد نام يعنى الربط الحضارى بين العلم القديم والعلم الجديد » ... « ولا يعنى ذلك معرفة القديم لمجرد العلم به كجزء من تاريخ مضى ، أو للفخر به كجزء من تراث نعتز به . ويعوض ما نشعر به من نقص أمام نظريات العلم الحديث ، بل لطرح المشاكل من جديد ، وهى نفس المشاكل الحالية ، والتعرف على المناهج القديمة لحلها ومقارنتها بالمناهج الحديثة المعاصرة ، حتى تتحرك عقلية الطالب العلمية ، ويساهم مع القدماء والمحدثين فى وضع الحلول ، أى أن الطالب على هذا النحو يدرس العلم كما يدرسه العلماء » ... « إننا لم نضع تصورا قومياً للعلوم الانسانية ، ولم نحدد هدفنا منها ، واقتصرنا على ترديد أهم نظرياتها ومناهجها على المستوى النظرى . دون أن نحولها إلى علوم قومية ، هدفها التغيير الفعلى للمجتمع إلا فيما ندر » .

« أما الثقافة الوطنية ، فإن من حقنا أن نتساءل : هل هى موجودة أساساً ؟ وأعنى بالثقافة الوطنية الحد الأدنى من المبادىء والأهداف التى يمكن للمواطنين ، وبوجه خاص للمثقفين ، الاتفاق عليها » .

« ليست الجامعة فى الحقيقة إلا عدة أطراف تدخل فى علاقات معينة ، ويمكن تحديد هذه الأطراف فى أربع : الأستاذ ، والطالب ، والمناهج ، والنظم » ... « الجامعة أساساً هى الأستاذ » ... « أما الطالب لدينا ، فإنه لا يشعر بأن وجوده فى الجامعة رسالة وطنية لأنه لم يتعود على الإحساس بها فى التعليم العام » ... « أما مناهج التدريس ، ... الجامعة ليست بها كتب مقررة ، بل هى فتح لأبواب المعارف كلها ، هى مطالبة للطالب بالاطلاع على أمهات المراجع ، ... هى عدة سنوات من القراءة المتصلة

والبحث المستمر » ... « أما بالنسبة للنظم الجامعية .. فالجامعة تأصيل للبحث العلمى أكثر منها تأهيلا للعمل المنتج والتخصص المباشر » .

ويضيف الدكتور حسن حنفى : « لا يمكن للجامعة أن تؤدى مهمتها كاملة إلا إذا توفر لها شرطان : الأول صلتها بالدولة وهو استقلال الجامعة ، والثانى يحدد الصلة بين أعضائها أنفسهم وأعنى ديموقراطية المجالس الجامعية ... » لذلك فكما أن للقضاة الحصانة القضائية ، وللنواب الحصانة البرلمانية ، فيمكن أن يكون للجامعيين الحصانة الجامعية » ... « المناقشات الحرة المفتوحة ، بدون تدخل من السلطة ، ورفع كل وصاية فكرية أو غيرها عليها هو السبيل لاطلاق قوى الجميع » .

أما الأستاذ أمير اسكندر (١) فيكتب : « إن الأستاذ الجامعى فى بلادنا عليه أن يلقى بين ست محاضرات واثنى عشر محاضرة كل أسبوع ، وعليه أن يبحث عن المصادر والمراجع والدوريات العلمية ، فى بلد يعتبرها « كماليات » لا ينبغى أن تدخل حدودنا فى يسر ، وبلا تعقيدات ! ثم عليه أن يفرغ من القاء محاضراته بسرعة ، حتى ينغمس فى تصحيح الإمتحانات ، ويندمج فى مشكلات النجاح والرسوب ولجان الرأفة ! .. ثم عليه بعد ذلك أن يقوم بالتأليف ووضع الأبحاث « المبتكرة » ونشرها » يجب « التقليل من التضخم الهائل فى عدد المقبلين على الجامعات ، بحيث تتحول الجامعة إلى مركز رفيع من مراكز البحث ، وتتحول المعاهد العليا إلى منجم ضخم ، ينتج « الكادر » الفنى الذى تحتاجه مجالات الإنتاج العملية المختلفة » .

ويكتب الأستاذ مصطفى لبيب (٢) : « عندما أقول التعلم أقصد به هنا

---

(١) أمير اسكندر : البحث عن فلسفة للتعليم الجامعى — المرجع السابق

(٢) مصطفى لبيب : مصباح ديوجين والبحث عن التعلم — المرجع السابق

تحقيق الثقافة الحقيقية للمواطن وتأدية الرسالة التعليمية على وجهها الصحيح بما يجعل من المتعلم فى نهاية الأمر مواطناً صالحاً قادراً على أن يفكر التفكير الصحيح وعلى أن يعمل العمل القويم » ... « إن التعليم الصحيح والحرية الصحيحة وجهان لحقيقة واحدة ، ذلك أن التعليم والحرية هما فى غاية الأمر وعى بالموقف الانسانى وتحرر من الجهل ومن الغموض واختيار حقيقى صلب » .... « نريد ممن يلقى العلم أن يصبح قادراً على أن يفكر بنفسه وأن يشارك فى قضايا قومه بوعى وإيمان ويقين ، وأن لا يحيا موظفاً مأجوراً بل راعياً أميناً على المصلحة العامة ، نريده أن لا يمتلىء ذهنه بحشو المعلومات بل أن تكون هذه المعلومات وسيلته إلى تكوين ضمير علمى هو فى النهاية دستور أخلاقى يحدد تصرفات المرء بإزاء نفسه وبإزاء الآخرين ».

ويضيف الأستاذ مصطفى لبيب عن « ازدواج التعليم وغياب النظرة الشاملة ... اعنى به الفصل الجائر بين تصور « العلم » وتصور « الأدب » وضياع « الانسانيات » حتى كمجرد مفهوم مستقر فى نظمنا التعليمية » ... « ونظراً للتطور العلمى الراهن على مستوى العالم أدعو إلى أن يعاد النظر فى مناهج الدراسة الثانوية والدراسة الجامعية بما يؤدى إلى اكتساب الطالب للنظرة العلمية الصحيحة وإلى ادراكه — ولو إدراكاً عابراً يكون فيـــه على أى الحالات صمام أمن — ما يسمى بوحدة المعرفة وأن التخصص الدقيق ، المطلوب ، شىء ووحدة المنهج ووحدة المعرفة شىء آخر ولا تعارض فيه ». ... « من الأهمية بمكان ... أن يكون منطق العلوم إلى جانب منطق النظريات العلمية التى شكلت معالم الفكر الحديث موضوعاً أساسياً من موضوعات الدراسة فى الكليات العملية والنظرية على السواء وأن نمهد لذلك فى المرحلة الثانوية بقدر أيسر » ... « إنه يجب التركيز على أن يكون الطلاب

فى نهاية دراساتهم مدركين لمغزى الروح العلمية والمنهج العلمى فى تناول الأمور » ... « ويسلمنا هذا إلى الحديث عن ضرورة التنبيه إلى أهمية تدريس اللغات الأجنبية بالمراحل التعليمية المختلفة » ... « عار علينا أن يعرف الأجنبى عن فكر بلادنا وتاريخها أكثر مما نعرفه نحن ، وليس هناك أفضل من أن يرضع النشء لبن حب الوطن وتقديسه من خلال التعلم المتدرج دون حاجة بنا إلى أن نجعل تلقينه للمواد القومية مباشرة وفى مرحلة متأخرة أمراً منفراً أو على الأقل ليس محبباً إلى نفسه . ويعنينا هنا بطبيعة الحال قبل الحرص على تلقينه نماذج من تجارب وثورات وأنظمة الشعوب الأخرى أن نحرص كل الحرص على أن يعرف بلاده ويحبها حين يعرفها وأن نزكى فيه الشعور بالعزة والقومية » .

وكتب الأستاذ أحمد ابراهيم الشريف (١) : « الحصول على الشهادة بكل وسيلة وبأى وسيلة هو الهدف المطلوب ولقد مكنا - نحن المعلمين - لهذا التغيير الدميم حين طبقنا العدالة إلى حد تفتيت الشعرة كما يقولون فى أعمال التصحيح ورحنا نعطى للطالب الذى أعرب الفاعل فى سؤال النحو وقرر أنه مرفوع درجته الكاملة ، بالرغم من أنه لم يرفع فاعلا واحداً فى موضوع التعبير الذى بلغ ثلاثين سطراً كتبها فى الورقة نفسها » ... « وأمض على هذا النسق فى التصحيح الذى يعطينا فى آخر الأمر درجات وأنصاف درجات قد تصل عند طالب إلى سبعين فى المائة من الدرجة الكلية وهو فى الحقيقة لا يفقه عن مادته هذه ولا ثلاثين فى المائة فضلاعن السبعين » . « فإذا ماوصلنا إلى كيفية إعطاء الدرجات نفسها وجدنا أننا لا بأس بأن نرؤف بالطالب فلانقضى على أمله فى الحصول على الشهادة لأنه نقص عن حد النجاح بدرجة

---

(١) احمد ابراهيم الشريف : عن التعليم ، مقال من الميدان ، المرجع السابق .

أو درجتين أو ثلاث درجات فيحصل على هذا العطف فى مادة ومادتين وثلاث مواد، وينجح عطفاً ورأفة به أن يضيع عليه عام من حياته ولو تدبرنا لحظة واحدة معنى شهادة لانسان بأنه مثقف ، وكيف يمكن أن تكون هذه الشهادة موضع عطف ورأفة لضحكنا من أنفسنا إذ من المفهوم أن أعطف على فقير أو مريض أو عاجز أو ضعيف فأعينه بفضل ما عندى لأسدبه خلله ، أما أن أعطف على انسان فأشهد بأنه مثقف فهو عطف عجيب » ... « إننا نعود بعد كل امتحان للبكاء والعويل على مستوى الثقافة المنحدر عاما بعد عام وجيلا بعد جيل وما نحس ولا نريد أن نحس أننا نحن السبب الأول والأخير فى هذا الانحدار » ... « أولا ينبغى ألا نغفل لحظة واحدة عن الهدف الذى نريد أن نصل إليه من وراء الامتحان فإذا كان الهدف هو التأكد من استيعاب التلميذ لما درس فى السنة الماضية ومدى جودة استيعابه ، فلا ينبغى أن يترتب على هذا أى حق من الحقوق لا مالية ولا وظيفية ولا تعليمية بمعنى الحق فى دخول كلية معينة أو سواها بل يكون الإمتحان هنا مجرد اعتراف بمستوى ثقافى معين ، ادركه التلميذ . فإذا أراد هذا التلميذ أن يتقدم لكلية ما أو لوظيفة معينة فليدخل فى مسابقة بينه وبين الطامحين إلى ما يطمح إليه ، للمجدين حق الفوز وللمتراخين الفشل والحرمان » .

ويكتب الدكتور عبد الله محمود سليمان(١) : « إن نظام تعليمنا يمتاز بالجمود وعدم المرونة والاختناق » . ... « فإذا أتينا إلى الدراسة الجامعية وجدنا نفس الجمود وعدم المرونة : فالكليات منفصلة عن بعضها تمام الانفصال والأقسام فى الكلية الواحدة منفصلة عن بعضها تمام الانفصال

(١) د. عبد الله سليمان : التخصص المبكر — مأساة التعليم فى مصر، المرجع السابق

والطالب الجامعى عليه أن يختار طريقه مبكراً ويسير فيه إلى نهايته ، فإذا اكتشف فى وسط الطريق أن هذا العلم أو ذاك غير ملائم له ، أو أنه لا يشبع حاجاته ، أو أن درجة صعوبته وتعقده أصبحت فوق طاقته ، كان عليه أن يعود أدراجه ، ليبدأ طريقاً جديداً . وعندئذ يكون قد أضاع من عمره الكثير ، وعندئذ أيضاً قد لا يجد بابا مفتوحاً » ... « كذلك فإن هذا الفصل الجامد بين مراحل التعليم فى سن مبكرة يغفل أساساً هاماً هو وحدة المعرفة الإنسانية ووحدة العقل البشرى . وطالب الآداب يحتاج إلى معرفة الحقائق العلمية والرياضية الأساسية ، بل وأسلوب التفكير والبحث العلمى والرياضى . والعالم يحتاج إلى أن يعرف اللغة والأدب وأن يعرف الحقائق الجغرافية والتاريخية لهذا العالم الذى يعيش فيه » ... « من السخف أن نفصل فصلا جامداً بين تخصصات الدراسة فى المرحلة الجامعية . إذ أن ما يتهم به خريجو الجامعة دائماً من قصور فى ثقافتهم إنما هو مظهر لهذا الفصل الجامد » .

وعن نشأة الكراسى الجامعية كتب الدكتور سعيد عاشور (١) : « الواقع أن فكرة الكراسى الجامعية ، جملة وتفصيلا ، شكلا ومضموناً ، أخذناها فى جامعاتنا العربية الحديثة عن الجامعات الأوربية التى ظهرت بذورها الأولى فى القرن الثانى عشر للميلاد » ... « والأصل فى الكرسى أنه المقعد المخصص لجلوس الأسقف عليه ، مما جعل المكان الذى يوجد فيه هذا الكرسى يشتق اسمه منه ، فأصبح يطلق عليه Cathedral وهو ما ترجمناه بالعربية بلفظ كتدرائية » .. « وهكذا انتشرت الكراسى الأسقفية فى مدن العالم المسيحى ، فأصبح يرمز لوظيفة الأسقف بالكرسى ، وصار مركز الأسقف مبنى نسب إلى الكرسى وعرف بالكتدرائية » ... « فلما أخذت

---

(١) د. سعيد عبد الفتاح عاشور — نشأة الكراسى الجامعية — مجلة الجديد العدد ١١ يوليو ١٩٧٢ .

مدرسة باريس الأسقفية تتطور لتصبح جامعة مستقلة عن إشراف أسقفية باريس وسيطرتها ، سعى الأساتذة — من خلال نقابتهم — إلى تدعيم مكانتهم فاتخذوا لوظيفتهم نفس اللقب الذى يبرز مكانة الأسقف ، وارتباط كل منهم بكرسى أو وظيفة تحدد فرع تخصصه ، بحيث أصبح فى المدرسة عدة كراسى هذا كرسى اللاهوت يجلس عليه أستاذ اللاهوت وذاك كرسى القانون يجلس عليه أستاذ القانون الكنسى ... وهكذا . وساعد على ذلك أن الفرع الواحد من فروع المعرفة التى كانت تدرس بالجامعة الناشئة لم يوجد لها سوى أستاذ واحد ، نظراً لصغر حجم الجامعات ، وقلة اعداد الطلاب نسبياً ، وضيق نطاق هذا النوع من التعليم الجديد » ... « وسرعان ما سرت تسمية الكرسى إلى الجامعات التى تفرعت عن جامعة باريس ... فأصبح يرمز لمنصب الأستاذ الكرسى أسوة بكرسى الأسقفية فى الكنيسة » .

ويضيف الدكتور عاشور قائلا : « ولكن هذا الوضع الذى ارتبط بجامعات ناشئة محدودة العدد تفرعت من مدارس كنسية .. صار لا يلائم جامعات العصر الحديث بأعدادها الكبيرة مما جعل من المتعذر الاكتفاء بأستاذ واحد فى التخصص الواحد . وهكذا اضطرت غالبية جامعات العالم الكبرى ، وخاصة فى القرن العشرين إلى إلغاء مبدأ الكرسى ... وعلى رأس الجامعات التى ألغت نظام الكرسى جامعة باريس سنة ١٩٦٨ فأصبح لا يوجد فيها الا استاذ، وأستاذ فقط ، أما الكرسى فلم يعد له وجود إلا فى مكانه الأصلى الطبيعى ، أعنى فى كتدرائية نوتردام بباريس » .

وقد وزعت لجنة متابعة مشروع قانون تنظيم جامعة الاسكندرية المقترح

من أعضاء هيئة التدريس (١) بها مذكرة بشأن الكراسى الجامعية جاء فيها ».

اقترح أعضاء هيئة تدريس جامعة الاسكندرية في المادة (٤٧) من مشروع تنظيم الجامعة المقدم منهم أن أعضاء هيئة التدريس أو « الهيئة العلمية » بالجامعات هم : الأساتذة — الأساتذة المساعدون — المحاضرون .

وبذلك يلغى المشروع المقترح كراسى الأستاذية بالجامعات ، وذلك لما أظهرته ممارسة هذا النظام بالجامعات المصرية من عيوب . رأى المسئولون عن الجامعات معالجتها فى وقت من الأوقات باستحداث نظام الأستاذ بدون كرسى بدلا من مواجهة المشكلة من جذورها ، وبذلك زادت على العيوب الموجودة أخطاء قانونية وتطبيقية كثيرة لا تخفى على أحد .

ويستند الاقتراح المقدم من هيئات التدريس بالجامعات على ما يأتى :

١ — يستند اقتراح الإبقاء على كراسى الأستاذية إلى أن الكراسى هى « قمة التخصص». إلا أن الجامعات تهدم هذا السند من أساسه بما دأبت على ممارسته من نقل الأساتذة من كرسى إلى آخر داخل القسم الواحد ، بل أحياناً بين الأقسام المختلفة .

ثم إن تحديد تخصص الأساتذة وهو النظام البديل المقترح ، عن طريق مجالس الكليات يسمح بمسايرة التقدم العلمى وخطواته السريعة وذلك باستحداث التخصصات الجديدة التى تنشأ بمجرد أن يعد لها عضو هيئة التدريس أو يستقدم لها عضو متخصص من خارج الجامعة.

٢ — وجود وظيفتى أستاذ وأستاذ كرسى لن يخلص هيئات التدريس —

---

(١) مشروع قانون عن تنظيم جامعة الاسكندرية — المرجع السابق واللجنة مكونة من د. حسين عثمان ، د. محمد توفيق علانوس ، د. محمد فخر الدين الصاوى

بالجامعات من الرسوب الوظيفى إذ أن مرجع ذلك إلى عدم انشاء وظائف كافية ، حيث أنه رهن بموافقة وزارة الخزانة فى كل حالة .

ومشروع هيئة تدريس جامعة الاسكندرية يقترح رفع درجة عضو هيئة التدريس إلى الوظيفة الأعلى فى حالة استيفائه جميع الشروط العلمية والزمنية ، وبذلك يكون إنشاء الوظائف فى أدنى درجات السلم الوظيفى فقط .

٣ — أستاذ الكرسى بالجامعات له الآن من السلطات من ناحية عضويته باللجان العلمية وخلافه ما يعينه على أن يحتكر ما يتصل بهذا الكرسى من أعمال ، كالبحوث خارج القسم والانتدابات وفحص الرسائل وخلافه ، وما يعينه فى الوقت نفسه على تعطيل تكوين الصف الثانى خلفه والأمثلة على ذلك كثيرة .

٤ — الإتجاه العالمى فى الجامعات هو تقليل عدد المستويات الوظيفية لأعضاء هيئة التدريس بالجامعة ، بحيث لا تزيد على ثلاثة فى كل الأحوال ، بل أن بعض الجامعات الحديثة بها وظيفتان فقط ، هما : محاضر واستاذ والفكرة فى ذلك هى أن يتاح الوقت الكافى لمن يشغل إحدى وظائف هيئة التدريس ليقوم بأبحاث جادة ترقى بمستواه العلمى بدلا من أن يتعجل أبحاثه ويخرج بها فجة ، أو يجزئها تجزيئاً مصطنعا لحاجته السريعة إليها للتقييم للوظيفة التالية . »

كذلك وزعت اللجنة مذكرة أخرى بشأن دورية رئاسة القسم جاء فيها :

١ — « أن فى استمرار رئيس القسم فى منصبه إضعاف لمجلس القسم لأنه — وفى معظم الحالات فى جامعاتنا — يحاول انتزاع سلطات مجلس القسم أو السيطرة عليه وما كان يعجز عن الحصول عليه فى مجلس

القسم — كان يقوم بعمله فى مجلس الكلية حيث هو وزملاؤه من الأقسام الأخرى يكونون الغالبية العظمى .

٢ — أنه نتيجة لذلك — كان عضو هيئة التدريس مخيراً ولا نقول مخيراً بين أن يكون فى صراع دائم مع رئيس القسم وما ينتج عن ذلك من تعطيل لمصالحه ومن قلق فى معيشته وعدم اطمئنان على مستقبله وعدم استقرار لأموره وبالتالى قلة فى انتاجه وتشويش فى أفكاره — وأن ينساق وراء رغبات رئيس القسم فيفقد شخصيته وصفة الأستاذية وتنمحى فيه قوة الإبتكار وتضيع معها مقومات العالم .

٣ — أن رئيس القسم بحكم منصبه يكون اتصالات كثيرة يتبعها انتدابات ومنافع أخرى كثيراً ما تتساوى عدداً مع هذه الاتصالات ، فنجد أن رئيس القسم الذى يضع تصريف أمور القسم كلها فى يديه — من صرف لكيماويات — من تصريح باستعمال أجهزة — من اجراءات ضرورية للاتصال بالأقسام الأخرى لأغراض علمية ... الخ — نجد أن رئيس القسم هذا يتغيب عن القسم فى كثير من أيام الأسبوع بل وأكثر من أى عضو هيئة تدريس آخر فى القسم . فى حين أن حسن سير العمل بالقسم يستدعى غير ذلك .

٤ — تتفاقم الحالة لأن رئيس القسم مع هذه الانتدابات وهذا التغيب لايجد فرصة لمتابعة تقدمه العلمى ، فيعوق غيره ، ويسوء الحال بين أعضاء هيئة التدريس معه فى القسم ، ويهبط المستوى العلمى بعد أن يكون المستوى الخلقى قد تكسر أو قل تحطم .

«فاذا ما تبينت هذه المناكب والمعايب فان علاجها إما أن يكون بالانتخاب مع عدم تجديد المدة أو بالدورية بين الأساتذة فى القسم الواحد وفى الواقع

أن الإنتخاب مع عدم تجديد المدة هو أقرب إلى الدورية وتمتاز عنه الدورية بخلوها من عيوب الإنتخاب ولربما وجه إليها بعضهم عيب أن يكون أحد الأساتذة الذين يحل عليهم الدور فى رئاسة القسم غير أهل لذلك ، ولكن الاحتمال الاحصائى لحدوث ذلك فى الأقسام المختلفة فى الجامعات المختلفة احتمال صغير لا يشين المبدأ نفسه . ومما يساعد على ألا يكون حتى لهذا الاحتمال الضئيل أثر يذكر ألا تكون مدة الدورية طويلة لأنها إذا طالت تكون أقرب للديمومة منها للدورية . فسنتان مثلامدة مناسبة لأن رئيس القسم فى هذه الحالة يستطيع أن ينفذ السياسة المستمرة التى يضعها مجلس القسم بأفراده ذوى التكوين المتطلع إلى الإعتداد بالنفس وإلى الاستقلال فى التفكير وإلى الإبتكار العلمى دون أن يكون لديه الوقت الكافى لتعلم لعبة رؤساء الأقسام القدامى ودون أن يفقد حماسه ونشاطه العلمى ويتجه إلى الأنواع الأخرى من النشاطات . أما أطول من سنتين فى رئاسة القسم دورياً فنخشى أن تكون غير كافية لتجنب العيوب التى سبق بيانها هنا .

من ذلك يتضح أن دورية رئاسة القسم سوف تساعد على إحكام النشاط العلمى والكفاءة الإدارية بالأقسام ، حيث أن كل أستاذ فى مدة رئاسته لقسم سوف يحاول أن يكون أكثر تمسكا بالمبادىء والتقاليد السليمة للإدارة الناجحة وأكثر انتاجاً علمياً وبالتالى يعود ذلك بالفائدة العظمى للجامعة ويتيح الفرصة أيضاً للأفراد لممارسة وظائف الإدارة .

كما أنه يساعد على سياسة الاستقرار بالقسم وذلك لأن الرئيس بعد انتهاء مدته هو عضو فى مجلس هذا القسم حيث يكون رسم الخطة العلمية بالقسم على المدى الطويل » .

والمتأمل لهذه الآراء يرى — بعد أن يكون قد ألم بالجامعة ومقوماتها ،

و استوعب ر سالتها و وضح له أهمية تنظيماتها — أنها تصف عيوبا ، وتكشف عن أمراض ، وتزيل الستر عن مثالب تقوض من أركان الجامعة .وتسلبها خصائصها وتقف فى طريق تحقيقها لرسالتها و تأدية وظيفتها .

فإذا كان لنا أن نكسر الحلقة المفرغة فى العلاقة بين التعليم والمجتمع التى أشار إليها الدكتور فؤاد زكريا فى مقالتيه فعلينا أن نولى التعليم — فى رأيى — الأهمية الكافية وأن نوليه الأولوية الضرورية معنوياً ومادياً وفى جميع أوجهه ومراحله ، اعنى من حيث القائم به ، أستاذ الجامعة ، أو مدرس المراحل الثانوية أو الإعدادية أو الإبتدائية أو الحضانة ، كذا استعداداته وتسهيلاته نظمه و تنظيماته ، براجمه ومناهجه و محتوياتها .

فقد كتب الأستاذ منصور أبو جلالة (١) : « أخطر ما يهدد مهمة المعلم هو أن كليات المعلمين لا يدخلها إلا أضعف المجاميع ، إن هذا الوضع يتطلب مراجعة حاسمة . ولنضرب بمختلف الحجج التى تعوق توزيع الطلبة حسب استعداداتهم عرض الحائط إذا أردنا أن نحقق شيئاً له مغزى » .

والتعليم والتدريس — أو التربية — كما هو عمل نبيل فهو عمل شاق يتطلب طاقات كبيرة واستعداداً وافراً ، فوجب أن يجازى الجزاءالمعنوى والمادى وتدل الأبحاث الحديثة على أن أى استثمار فى مجال التعليم يأتى بفوائد مضاعفة(٢)(٣)عدة مرات بالنسبة للاستثمار فى أى مجال آخر .

---

(١) منصور أبو جلالة : المعلم ومشكلات التعليم : مجلة الفكر المعاصر العدد ٧٣ مارس ١٩٧٢

(٢) دكتورمحمد زكى شافعى : دور الجامعات فى التنمية الاقتصادية —جامعة بيروت العربية ١٩٧١ .

(٣) حسان محمد حسان : أضواء على بعض المشكلات الاقتصادية للتعليم فى مجتمعنا ، مجلة الفكر المعاصر العدد ٧٢ فبراير ١٩٧١

وإن كنا لا نعالج هنا غير الجامعة والتعليم الجامعى إلا أننا نرى ضرورة عرض بعض المقترحات بخصوص بعض مراحل التعليم الأخرى والتى لها صلة مباشرة بالتعليم الجامعى فمثلا :

١ — إلغاء نظام التخصص المبكر فى الدراسة الثانوية لما له من أضرار ليس فقط من ناحية المستوى العلمى والأدبى ، بل أيضاً لأضراره الاجتماعية الأخرى التى اتضحت من المناقشات السابقة .

٢ — الاهتمام باللغة العربية ككل — واعنى بذلك ما سبق أن أشار إليه الأستاذ إبراهيم الشريف من ضرورة الكتابة بلغة عربية صحيحة ، وليس فقط فى موضوعات الإنشاء بل أيضاً فى الجغرافيا والتاريخ والموضوعات الاجتماعية الأخرى وغيرها ، إذ كيف يمكن أن ننتظر من طالب أو خريج أن يكتب تقريراً مفهوماً أو أن يعبر عما يجول بخاطره إذا لم يكن يكتب بلغة صحيحة. وفى الجامعات الأجنبية لا ينجح الطالب إذا كتب بلغة غير صحيحة.

٣ — تدريس اللغات الأجنبية بطريقة فعالة تسمح للطالب أن يكتسب مهارة فيها ولو فى القراءة على الأقل .

٤ — الاهتمام بتدريس الحضارات المصرية والعربية على مر السنين وربطها بالحاضر فى دراسة حية ديناميكية تستقصى العوامل والأسباب قبل أن تعمد إلى سرد الحقائق والتواريخ .

٥ — الجدية فى تطبيق المناهج وفى استيفاء الحد الأدنى للانتقال من سنة دراسية إلى أخرى ومن مرحلة إلى أخرى . وحبذا لو صاحب ذلك مزيد من اللامركزية .

٦ — الاهتمام بتكوين المعلم فى المراحل المختلفة فكرياً وذهنياً وثقافياً وفى مادة تخصصه وتربوياً . وحبذا لو استلزم الأمر — كما يحدث فى الولايات

المتحدة الأمريكية — أن يعمد كل منهم إلى الاستزادة من العلم فى فترات الأجازة كل عدد معين من السنين مثلا . ولا يتيسر تكوين المعلم بهذا المعنى إلا فى جامعات — بالمعنى الحقيقى — السابق ايضاحه ، وكما سيوضح فيما بعد .

٧ — لما كنا قد اتفقنا أن مهنة التعليم هى مهنة نبيلة وشاقة فى آن واحد وأن أى استثمار فيها يصاحبه أحسن عائد على المستوى الوطنى ، ونراه أيضاً مطبقاً على مستوى الأفراد (١) حيث قد يلجأ البعض لبيع جزء من ممتلكاتهم لاستثماره فى تعليم بعض أفراد الأسرة ،وما ظاهرة انتشار الدروس الخصوصية إلا نتيجة للاقتناع الفكرى والفطرى بهذا الرأى وسبب الخلل فى الوظيفة التعليمية ، لذا وجب أن يكافأ من يقوم بهذه المهنة الشاقة النبيلة ليس فقط بالاعتراف بالفضل معنوياً بل الجزاء المادى والتسهيلات والتشجيعات الأخرى فيجب زيادة المرتبات حالا وابتداءاً . ولنعلم أن تعليم ابن أو بنت الآن يكلف الأب أو ولى الأمر بسبب الدروس الخصوصية وغيرها الشىء الكثير ، فإذا كان دخله محدوداً فهو لا شك يعمل على تعويضه من مصادر أخرى وبذا تبدأ الحلقة المفرغة فى عيوب وأمراض المجتمع .

أما بالنسبة للتعليم الجامعى فإنا نقترح فى محاولة لتكوين المواطن الصالح ذى الضمير الحى — وإلى أن يتم إلغاء التخصص المبكر من التعليم الثانوى وكذلك إتخاذ اجراءات أخرى ضرورية لاصلاح التعليم عامة والجامعى خاصة مثل طريقة قبول الطلبة بالجامعات — بعض الخطوات التى نتخذ فى تطبيقها مثالا جامعة الاسكندرية ، مسترشدين بمقومات وخصائص ورسالة الجامعة السابق شرحها ومتجنبين العيوب والمثالب التى وجهت من مختلف الكتاب

(١) من ملحوظة للاستاذ الدكتور احمد السيد درويش مستشار السيد رئيس الجمهورية

والمفكرين إلى الجامعة والتعليم الجامعي فى مصر ولخصت فيما سبق ومسترشدين بالآراء والخبرات الخاصة .

١ — التحاق حاملى الثانوية العامة بالجامعة :

تقبل جامعة الاسكندرية — مثلها فى ذلك مثل بقية جامعات مصر العربية عدداً من حاملى الثانوية العامة من القسم العلمى وعدداً آخر من القسم الأدبى ليلتحق معظم حاملى الثانوية العامة قسم علمى بما اصطلح على تسميته بالكليات العملية , طب ، هندسة ، صيدلة ، طب أسنان ، علوم ، زراعة ، معهد تمريض — بينما أن جزءاً أصغر من حاملى الثانوية العامة علمى ينضم إلى حاملى الثانوية العامة أدبى للالتحاق بمااصطلح على تسميته بالكليات النظرية — تجارة حقوق ، وآداب . وفى السنوات الأخيرة فإن ما اصطلح على تسميته بكيلة التربية يلتحق به عدد آخر من خريجى الثانوية العامة أدبى وعلمى « ليؤهلوا » حتى يصبحوا مدرسين بعد تخرجهم . ويتم ذلك كله عن طريق مكتب تنسيق القبول بالجامعات ، ليس لأى جامعة ولا للجامعات مجتمعة أى وقول له ولاعليه

ولكن هؤلاء الطلبة هم بمجرد استيفائهم أوراقهم والإجراءات الأخرى لتسجيلهم « بكليات » الجامعة المختلفة يصبحون جزءاً لا يتجزأ من هذه الجامعة وتصبح الجامعة مسئولة عنهم كأفراد وكأعضاء فى المجتمع ، كطلبة وكاحتمالات ليصبحوا مواطنين صالحين ، ومهنيين جيدين .

ولقد يختلف الرأى فى طريقة وعدالة توزيع الطلبة على الجامعات والكليات المختلفة عن طريق مكتب التنسيق مابين محبذ ومنتقد ، مؤيد ومعارض . ولكن الذى لا خلاف عليه أن نسبة ليست بغير أهمية تكتشف ان ما نسقت إليه ليس ما يلائمها دراسة ولا يوافقها طبعاً ، ولا يطابق امكانياتها ، ومن ثم فمن العسير أن يحقق آمالها ، وهنا تصاب هذه النسبة بالخيبة والبلبلة وتتردد

فى أن تغير مجرى دراستها — حتى إذا أمكن لها هذا — لتطابق استعدادها لما قد يكون فى هذا التغيير من ضياع زمنى . فتكون النتيجة الاستمرار فيما لا ترغب ودراسة ما لا تهوى والتخرج فى مجال ينافى استعدادها ويجافى آمالها ، وكلنا يعرف ما يتبع ذلك من نتائج فى الحياة العامةوفى أداء مايوكل إليها من وظائف وواجبات .

٢ — المقرر الدراسى هو وحدة الدراسة بالجامعة :

إذا نظرنا إلى مواد الدراسة فى السنة الجامعية الأولى فى الكليات التى اصطلح بتسميتها « بالعملية » لوجدناها كلها تقريباً واحدة باستثناء اختلافات بسيطة جداً لا تتعدى ساعات محدودة من ساعات الدراسة الأسبوعية ، لذا فإننا نقترح أن تدرس هذه المواد المشتركة لهؤلاء الطلبة جميعاًعلى مستوى واحد بتسهيلات واحدة وبرنامج واحد لأنها جميعاً مواد علوم أساسية basic sciences لاتختلف من مبنى إلى آخر ولا فى احتياجاتها الأولية من طالب إلى آخر . ولقد يسأل سائل كيف يمكن أن يتم ذلك لهذه الأعداد الكبيرة ؟

يمكن أن يتم ذلك ولهذه الأعداد ، مثلما يتم فى جامعات الدنيا الأخرى ولأعداد تفوق هذه الأعداد ... يمكن أن يتم بجعل المادة الدراسية الواحدة أو المقرر الدراسى الواحد هو وحدة الدراسة . فمثلا الطالب المستجد الذى يلتحق بأى من الكليات « العملية » السابق ذكرها يدرس مقررات معينة فى الطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات والرياضة مثلا — وهذه هى المقررات التى سبق أن ذكرنا أنها تتكرر فى أول سنة دراسية جامعية — فعلى ذلك يمكن أن تعطى هذه المقررات اسما معيناً أو رقماً معيناً على أن تحدد محتوياتها ومكوناتها بدقة وتطبع فى دليل للجامعة مثلا . والذى يحدث فى الجامعات الأجنبية أن

الطالب يقوم بتحديد أوقات دراسته لها بالاتصال بمن يدرسونها تبعاً لنظام معين تضعه كل جامعة على حدة . ولكننا نقترح هنا — وكفترة انتقالية — أن يوزع الطلبة الذين سيدرسون هذه المقررات ومهما كانت الكليات التى سيلتحقون بها بطريقة أو بأخرى ، بحيث يحدث خلط متعمد ومزج مقصود بين هؤلاء الطلبة جميعاً ، ويمكن أن يتم ذلك بترتيب هؤلاء الطلبة جميعاً ابجدياً أو على حسب الساعات التى سيختارونها أو الأستاذ الذين يريدون حضور محاضراته مثلا ، وبحيث أن كل مجموعة تستمع لمحاضر معين أو تقوم بدرس معملى محدد تتكون من طلبة سيلتحقون بكليات مختلفة ، ولقد سبق أن بينا فائدة ذلك وأهميته عند الكلام عن خصائص الجامعة ومقوماتها ولكن لا مانع من تلخيص هذه الفوائد باختصارها هنا :

ا — بهذه الطريقة فإن المحاضر يواجه طلبة من أمزجة ومشارب مختلفة مما يجعله يحتفظ بمستوى معين لا يتنازل ولا ينزل عنه ، لا أن يلائم محاضراته لما قد يعتقده ملائماً لمستوى مجموعة معينة تلتحق بكلية معينة .

ب — أن هذه الدراسة التى تجمع بين طلبة سيتجهون إلى كليات مختلفة ستقرب بين هؤلاء الطلبة وتحد من الخلاف الطائفى الذى قد يحدث بينهم فيما بعد ، وإن كانت تزكى روح التنافس بينهم مما يساعد على رفع المستوى العلمى لهم جميعاً .

ج — أن الطالب الذى يكتشف فى نفسه استعداداً آخر غير ذلك الذى يوجه إليه عن طريق مكتب التنسيق يمكن أن يغير اتجاهه دون أن يفقد أى وقت ولا تضيع عليه أى دراسات يكون قد قام بها وبسهولة ويسر .

د — أن هذا التعاون وهذا الحد من الطائفية المهنية الذى ينتج من هذه

الطريقة ستنعكس فوائده على المجتمع أيضاً ، مثلما يستفيد هذا المجتمع من ارتفاع مستوى الدراسة أيضاً .

هـ – أن هذه هى خطوة لجعل المادة الدراسية الواحدة أو المقرر الدراسى الواحد وحدة الدراسة فى الجامعة ككل وليس فى السنة الدراسية الأولى من حياة الطالب الجامعية .

بل إن الدراسات العالية فى الجامعة يجب أن تنسق على هذا المنوال لتعم الفائدة ويرتفع المستوى .

٣ – مقرر أو مقررات حضارية لجميع الملتحقين الجدد بالجامعة :

لما كان من الضرورى أن يلم الطالب بحضارة وفكر وثقافة بلده ، وكذلك بمتطلبات عصره والإكتشافات العلمية والتكنولوجية الحديثة لكى يصبح مواطناً نافعاً وفرداً صالحاً ، لايختلف فى ذلك دارس الانسانيات عن دارس العلوم والرياضيات فإن تقرير مقرر يشتمل على الحضارة المصرية القديمة وينتقل منها إلى الدور الذى لعبته الاسكندرية والمنطقة المحيطة بها فى العصور المختلفة إلى وقتنا الحالى فمن مصر الفرعونية إلى العصر البطلمى والرومانى والبيزنطى والإسلامى بعهوده المختلفة إلى بيئتنا المعاصرة مظهراً منجزات هذه المنطقة فى المحيط الثقافى والفنى فى مصر وفى العالم الخارجى ، على أن يربط هذا المقرر هذه المنجزات بأسبابها ومسبباتها ، بنتائجها وظروفها ، وبالمشكلات الحالية ومحاولات حلها ، مثل هذا المقرر يكون له أكبر الأثر فى ربط الطالب بالمجتمع وفى إذكاء روح الهمة فيه للتفانى فى خدمته .

ونقترح أيضاً أن يدرس هذا المقرر لجميع الطلبة عند التحاقهم بالجامعة وبحيث تضم المجموعات التى تتلقى محاضرات معينة طلاباً من جميع أنواع

الدراسة العلمية والأدبية والإنسانية لما فى ذلك من الفوائد السابق بيانها .

٤ — جدية فى الدراسة والتدريس :

يجب أن تكون الجدية فى التدريس والقاء المحاضرات وتحضيرها وفى الفترات والتمارين العملية رائداً لجميع المشتغلين بالتعليم فى جامعة الاسكندرية والا يتهاونوا فى محاسبتهم للطلبة سواء علمياً أو خلقياً .

٥ — الامتحانات جزء لا يتجزأ من المقرر الدراسى :

لما كانت الامتحانات هى جزء لا يتجزأ من المادة الدراسية المعينة ولما كانت هذه الامتحانات بالطريقة التى تجرى بها حالياً عبء على الجامعة أستاذاً وطالباً وإدارة مما لا يؤدى إلى أى نفع ولا يحقق أى غرض علمى بل ينتج عنــه أضرار كثيرة ليس أقلها ضياع ما يقرب من الشهر والنصف فيما يمكن ألا يأخذ إلا أسبوعاً أو أسبوعين على الأكثر بجانب العبء النفسى الثقيل على كل من الطالب والأستاذ فإنى اقترح أن يترك تدبير أمر درجات الطلبة فى كل مادة دراسية للقائمين بتدريسها ثم يبلغوها للإدارة لرصدها فى السجلات . وعلى هذا يمكن للأستاذ أن يعقد امتحاناً إذا أراد — من غير نمر سرية — ثم يمكنه إعادة الإجابات للطلبة حتى يتبينوا أخطاءهم ويقتنعوا بها أو أن تكون درجة كل طالب مبنية على مجهودات مختلفة فى أثناء الدراسة من امتحانات إلى قراءات إلى تقارير إلى أبحاث وغير ذلك ، أو أن يقوم الأستاذ باجراء امتحان عملى أو مناقشة شفهية ... إلى غير ذلك من الطرق العديدة التى تستعصى على الحصر والتى يمكن أن يختار منها الأستاذ (القائم بالتدريس) ما يتناسب مع ظروف المقرر الذى يقوم بتدريسه .

٦ — اللغة العربية :

يجب أن يجيب الطلبة فى امتحاناتهم وأن يستعملوا فى كتابة تقاريرهم لغه عربية صحيحة ، لأن اللغة هى عنوان الحضارة ومظهر القائمين عليها ، ولا مانع من تدريس اللغة العربية لمن يتضح مستواه أنه فى حاجة إلى ذلك ، ولكن يجب ألا يقبل انتقال شخص من مستوى إلى مستوى آخر إذا لم يكن يستطيع أن يعبر عن نفسه بلغة عربية صحيحة .

٧ — اللغات الأجنبية :

طالب الجامعة هو باحث المستقبل أو مهنى الغد ، وفى عصر تكثر فيه الاكتشافات وتتعدد فيه الآلات والأجهزة وتقرب فيه المسافات سواء بالانتقال الجسدى أو السماعى أو حتى البصرى فلا بد لملاحقة هذه الاختراعات وامكان استخدامها والإفادة منها من معرفة باللغات الأجنبية فيجب على طالب جامعة الاسكندرية أن يكون على المام جيد بلغة أجنبية واحدة على الأقل قراءة وكتابة وكلاماً .

٨ — المكتبة :

حتى أقدم تعريفات الجامعة لا تخلو من ذكر ضرورة وجود مكتبة قوية ولا ترجع قوة المكتبة فقط إلى عدد مقتنياتها ومجلداتها والموضوعات التى تحويها بل أيضاً كما سبق بيانه إلى نظمها وتنظيمها وإلى القائمين عليها .

ونقترح أن يتم فى الحال :

ا — بناء مكتبة مركزية للجامعة تنتقل إليها ما يعرف حالياً باسم المكتبة العامة للجامعة والتى يوجد الكثير من المراجع الموجودة بها فى أماكن لا يمكن رؤية أسماء الكتب وارقامها من غير ضوء صناعى — الذى كثيراً ما ينقطع

ب — أن تنتقل معظم المراجع الموجودة فى مكتبات الكليات إلى هذه المكتبة منعاً للتكرار ووفراً وزيادة فى الفائدة فليس هناك من داع أن يكون هناك ستة أو سبعة نسخ من ملخصات الأبحاث الكيماوية أو البيولوجية نسخة فى مكتبة كل كلية ، بل يمكن الاكتفاء بنسختين أو ثلاث فى مكتبة مركزية .

وهذه الخطوة بجانب خطوة تقرير المقرر الدراسى كوحدة للدراسة بالجامعة هو تقدم فى الإتجاه الصحيح لجعل الجامعة كوحدة وإلغاء الحواجز المصطنعة بين فروع المعرفة الواحدة .

جـ — أن تأخذ المكتبة الجديدة بأحدث طرق تبويب الكتب والمجلدات وحفظها وكذلك بأسرع وسائل حفظ المعلومات والحصول عليها ومنها العقل الأليكترونى .

د — أن يوضع وينفذ برنامج للحصول على موظفى وأمناء مكتبات تتوفر فيهم الخبرة بالطرق الحديثة وكذلك الصفات المرغوبة ، ولا مانع من الالتجاء إلى ارسال بعثات أو استقدام خبراء أجانب .

٩ — الإقتناع بالجامعة ورسالتها :

يجب أن يكون كل من له صلة بالجامعة مقتنعاً بها محيطاً بخصائصها على دراية بمقوماتها ومؤمنا برسالتها . ولذا فيمكن تنظيم مقررات دورية لشرح هذه الخصائص والمقومات والرسالة لمن لا يلم بها إلماما جيداً . ومن لا يلم بمحتويات هذه المقررات علماً أو لا يتخذها شعاراً له فى القيام بعمله فى فى الجامعة فليس له مكان فيها ويجب إن لم يعمل هو على تركها أن تعمل هى على التخلص منه لأنه لا يكون الا عائقاً فى أداء مهمتها و تحقيق رسالتها .

١٠ — الدراسات العالية :

يجب أن تنظم الدراسات العالية فى الجامعة بحيث تعكس خصائص

ومقومات الجامعة ، رسالة ، وحدة ، شخصية ، حرية ، نشر للمعرفة وإضافة إليها ، فكر وعلم وثقافة .

فالطالب يتعود فيها على حرية اختيار تخصصه الرئيسى والدراسات الأخرى الفرعية أو الإضافية ، وكذلك على حرية اختيار المقررات التى يدرسها وذلك فى حدود لوائح ونظم تتصف بالعدل والمساواة وتطبق على الجميع فى جميع أنواع الدراسات ، وأن يكون برنامج دراسته بحيث يمرنه على التفكير وينمى فيه ملكة الابتكار .

ويصر فى الدراسات العليا على عدم تكرار المقررات فى الدراسات المختلفة فمن يريد أن يدرس مقرراً فى الكيمياء مثلا فيدرسه على يد المتخصص فيه ومن يريد أن يدرس مقرراً جغرافياً يدرسه على الأستاذ المتخصص فيه بحيث يجد الشخص أنه يدرس هذا المقرر مع آخرين ممن يقومون بالدراسات العالية فى نواحى العلوم المختلفة ، فيزداد فائدة علمية واجتماعية وتتضح له وحدة المعرفة ووحدة الجامعة .

وقل رب زدنى علماً ..

محتويات الكتاب

الجزء الأول

الجامعـــــة

الجزء الثانى

التنظيمات الجامعيـــة

عن المؤلف : تخرج المؤلف من جامعة الأسكندرية سنة ١٩٤٧ وبعد أن عمل بها فترة قصيرة سافر فى بعثة إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث حصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة ولاية أوريجون .. وفى أثناء دراسته بالولايات المتحدة انتظم على فترات فى جامعات أخرى مثل جامعة واشنطن ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا . وبعودة المؤلف إلى مصر فى عام ١٩٥٣ عين عضواً بهيئة تدريس جامعة الاسكندرية حيث يعمل بها حالياً أستاذاً لعلم وتكنولوجيا الأغذية .. وفى الفترة ما بين عامى ٥٨ — ١٩٦٠ عمل أستاذاً زائراً بجامعة رتجرز بالولايات المتحدة . وقد زار المؤلف عدداً كبيراً من الجامعات الأمريكية أثناء فترتى اقامته هناك ، وكذلك الكثير من من الجامعات الأوروبية فى هولندا والدانمارك وبرلين (بشقيها) وألمانيا الغربية والنمسا وسويسرا و إيطاليا ، واضعاً نصب عينيه الإطلاع على البحوث الجارية وعلى نظم هذه الجامعات . وقد كتب المؤلف مقالات وألقى محاضرات عديدة عن النظم الجامعية فى العـالم .

والمؤلف أحد أعضاء لجنة متابعة مشروع قانون تنظيم جامعة الأسكندرية الذى اقترحه أعضاء هيئة التدريس بها فى يناير ١٩٧٢ ، وهو أيضاً عضو فى لجنة الإتصال بين جامعات جمهورية مصر العربية لمتابعة استصدار قانون الجامعات المصرية .

عن الكتاب : يبتـدىء الكتاب بنبذة عن نشأة الجامعات وتطورها فى العالم وفى مصر . ثم يبين أهمية التعليم والعلم والمعلم ووضعهم فى الحضارة العربية والإسلامية . ثم يعالج الكتاب رسالة ومقومات الجامعة : شخصية الجامعة — الحرية فى الجامعة — وحدة الجامعة — علاقة الجامعة بالطالب — الجامعة كوسيلة لنشر المعرفة والإضافة إليها ، وغير ذلك .. ويضع الكتاب تعريفاً للجامعة مأخوذاً من تداعى الفصول السابقة ثم يستعرض الكثير من نظم الجامعات فى العالم ويقترح ثلاثين أساساً يحتكم إليها عند وضع النظم الجامعية . ويناقش الكتاب أحوال الجامعات المصرية مبينا ما لها وما عليها منذ نشأتها حتى الآن ويناقش الآراء التى دارت حـــول تنظيم الجامعات المصرية ثم يستعرض علاقة التعليم العام (خاصة الثانوى منه) بالتعليم الجامعى فى مصر مقترحاً عدة اجراءات للنهوض بالتعليم العام وبمعلميه مادياً وموضوعياً . ويرسم الكتاب خطة لتحقيق رسالة أى جامعة مستخدماً جامعة الأسكندرية كمثال .

يطلب من المؤلف : كلية الزراعة
جامعة الأسكندرية — الشاطبى — اسكندرية
ومن المكتبات الكبرى

٥٠٠ م